

البراهين المهدية الى العقائد المنجية

تأليف العلامة

سلطان افندي بن حسن الموصلی

المدرس بمدرسة جامع النبي شيث

اختصره وعلق عليه

عبدنور محمد الجسو

المدرس بمدرسة آل الرضوانی

حقوق الطبع محفوظة للمختصر صاحب التعليق

مطبعة الامام - ٩ يعقوب - مصر

مكتبة الشيخ محمد بهجة البيطار

البراهين المهدية الى العقائد المنجية

تأليف العلامة

سلطان افندي بن حسن الموصلي

المدرس بمدرسة جامع النبي شيث

اختصره وعلق عليه

عبدنور محمد الجسو

المدرس بمدرسة آل الرضواني

حقوق الطبع محفوظة للمختصر صاحب التعليقات

مطبعة الامام - ٩ يعقوب - مصر



لا يجب
فقدانها
بالكتاب
والسنة
ثم يعمل
بها وبقراها

1954

1954



1954

ترجمة مؤلف الأصل (البراهين المهدية)

هو الشيخ سلطان افندي بن حسن الصائغ ، كان أولا مشغولا بصناعة الصياغة ثم تركها وانهمك في تحصيل العلم ، وصلته رسالة الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب المسماة (كشف الشبهات) فتلقاها بالقبول وأيدها بتعليقاته على هامشها وألف رسالة نحوها أولها : لك الحمد يا ربنا بأنك واجب الوجود ، وألف البراهين المهدية .

كان مدرسا في مدرسة النبي شيث ومدرسة باب الطوب في الموصل ، ولد فيها وأخذ الإجازة من شيخه على افندي محضر باشي وقرأ على حسين افندي وملا محمد بن ملا محمود الاربيلي قرأ عليه وأخذ الإجازة منه في شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٩ الشيخ الكبير معتقد أهل الموصل عثمان افندي الرضواني والد الشيخ المشهور الحاج محمد افندي آل الرضوان

رحم الله العلماء والمسلمين المشتغلين بإرشاد الخلق إلى الدين الاسلامي الصحيح الخالي من البدع والشركيات والضلالات المبتدعة آمين والحمد لله رب العالمين و

من شريعتي
والله اعلم
بما لا يعلمون

الله اعلم
بما لا يعلمون

مددنا في شرحها

صدايقه وعلم

٢ - علمه

٣ - علمه ما يقدر

بسم الرحمن الرحيم

نحمدك يا ذا الطول والقوة والحول ، ونصلي على نبيك المنقذ
من الضلالة ، وعلى آله وأصحابه أهل الكمال

أما بعد : فلما كان علم العقائد من أهم الواجبات ، وأنفس
المرغوبات ، إذ به يوصل إلى معرفة وجود الصانع ، وإدراك
صفاته وعلمه وقدرته وإرادته وفرط رحمته ، حاولت أن أذكر منه
في هذه الرسالة زبدة ما اتفق عليه علماء الاسلام وما هو الصواب
مضيفاً إلى ذلك بعضاً من البراهين التي من الكتاب والسنة
استخرجتها ، وملحفاً به من الأبحاث اللازمة ما يجب التحذر منه
مما يقع في الافتتان سائلاً منه تعالى النفع بها لي ولكل ناظر فيها
من المنصفين ، ورضوانه عني وعن أحبائي وعن جميع المسلمين انه
قريب مجيب ، ومن قصده لا يخيب ، وما توفيقى إلا بالله عليه
توكلت وإليه أنيب ، وسميتها (البراهين المهدية إلى العقائد
المنجية) فأقول وبالله التوفيق وبيده أزمة التحقيق

اعلم انه يجب على كل إنسان معرفة أن صانع العالم واحد
ولا يمكن معرفة كنه ذاته ، ولا معرفة كنه صفاته ، بل الواجب
معرفة أن ذاته ثابتة وأن صفاته ثابتة أيضاً من غير تعرض إلى
أنها عين ذاته المقدسة .

٥ - أراهم
شرحاً
دنه
ردنهم

ثم قال في صحيفة ١٦

الشرع

اجتمعت الرسل كلهم على الدعوة إلى كلمة التوحيد وهي كلمة لا إله إلا الله ، وهي بمنطوقها دالة على قصر الألوهية على الله تعالى (١) قصر الحقيقية - ومقتضاه أن الله تعالى هو الذي يستحق أن يعبد كل مخلوق لأنه لا يستحق العبادة التي هي عبارة عن الطاعة والانقياد والخضوع إلا من كان هو النافع والضرار لكل على الإطلاق ، فمن لا يملك نفعاً ولا ضرراً بالنسبة إلى بعض المخلوقين لا يستحق أن يعبد ذلك البعض ويطيعه وينقاد له ويخضع له بالوجه المختص بالله احترازاً عن نفع العباد وضررهم ولا البعض الآخر ولا نافع ولا ضرار لكل على الإطلاق إلا الله تعالى استقلالاً من غير سيطرة الغير وذلك لأن قدرته تعالى ذاتية له غير مستفادة من خارج وهي شاملة لجميع المقدورات بخلاف قوة غيره من المخلوقين

(١) الذي سماه غير جميع العوالم وغير المفهوم الكلي وغير الوجود المطلق وغير حقيقة الحقائق وذات الذوات ، وغير الواجب عند المتكلمين والمناطقه والفلاسفة فانه عندهم جزء محتمل وضمواله هم وأمثالهم لأمثاله من الوجود المطلق ونحوه مما ذكر في الغيريات كلمة الله وضما كاذبا شيطانيا ، والله سمي غير ذلك كله بكلمة الله مما لا يعرفه هؤلاء الجهلة وهو المعبود بحق الذي أوجب الله عبادته على الكل وعبدته الرسل واتباعهم بالفعل ... المؤلف للحاشية

فإنها عبارة عن قدرة ناقصة ، وبوضح ذلك قوله تعالى (وأن
القوة لله جميعاً) وفي الحديث لاحول ولا قوة إلا بالله . فلامعبود
يحق في الوجود وبالمعنى الذى أراده . وشرعه إلا الله تعالى فهو
المستحق للعبادة لاغيره وهو المعبود الحق

وينبغى أن يعبد لإجلاله وإظهار كبريائه وكأله ، فالعبادة
الحقيقية لله تعالى أن يعبدته تعظيماً لجلاله وتكريماً بخدمته واعترافاً
بعزة الربوبية ، وذلة العبودية ، وأن تكون عبادته على طريق
الحصر والاختصاص به تعالى . فمن اعتقد في مخلوق مشاركته
للبارى تعالى فى شيء من أنواع العبادات فقد أشرك واتخذ الله نداً
وقد قال الله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً
يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ، ولو يرى الذين
ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب
إذ تبوأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم
الأسباب) فمن اتخذ الأنداد الصلاة عند قبور الأنبياء والصالحين
والأولياء واتخاذ قبورهم مساجد ، فقد صح عنه عليه السلام أنه لعن
اليهود والنصارى بذلك قل : (لعنة الله على اليهود والنصارى
اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحهم مساجد ، إني أنهاركم عن ذلك
وسبب دعائه عليهم باللعنة أنهم كانوا يصلون في المواضع التى
دفنوا فيها أنبياءهم ، إما نظراً منهم بأن السجود لقبورهم تعظيم

لهم ، وهذا شرك جلي ، ولهذا قال ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وإما ظناً منهم بأن التوجه إلى قبورهم حالة الصلاة أعظم وقفاً وأكثر أجراً عند الله تعالى لاشتماله على أمرين : عبادة الله تعالى وتعظيم أنبيائه ، وهذا شرك خفي ، لأنهم يكونون حينئذ قد أتوا بعبادة الله تعالى بما يرجع إلى تعظيم مخلوق .

في صلاة
على عبادة
عبد الله
لأنه لا

قال الشافعي رضي الله عنه : وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس ، ثم قال أقول : أما الخي فيخاف عليه من التعظيم فتنة الكبر وما يترتب عليه ، وأما الميت فيخاف على غيره من تعظيمه فتنة الشرك .

وقد أخرج مسلم عن أبي الهياج الأسدي وكان من أصحاب علي كرم الله وجهه قال : قال علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ؟ ومعناه ألا أرسلك في أمر وأجعلك أميراً عليه ؟ كان رسول الله ﷺ قد جعلني أميراً عليه ، وذلك هو محور الضرر وإبطالها بالكلمة وتسوية القبور المرتفعة عن الأرض بالبناء والجنباء ونحوهما لعدم الفائدة واتباع الجاهلية وافتتان الناس بها وأما القبور المعلقة بالرمل والحجارة مقدار شبر لا تعرف ولا توطأ

فلا يجوز تسويتها ، لأنها سنة في قبور المسلمين .
ومن اتخاذ الأنداد تعظيم قبور الأكابر من الأنبياء والأولياء
والصلحاء (١) بالذبح عندها والنذر لها ، واستلامها أو تقبيلها
والطواف بها ، أو أخذ ترابها أو إيقاد الشموع والسررج عليها أو
دعاء أصحابها ، والاستغاثة بهم أو نحو ذلك
فأما الذبح عندها فلا شك أنه من أنواع الشرك ، والمذبح
لذلك هو نجس خبيث ، وأكله حرام ، لأنه من قبيل ماذبح على
النصب وقد قال الله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل لغير الله به) إلى قوله (وماذبح على النصب) فإن المراد
بماذبح على النصب ماذبح على قصد تعظيم النصب والتقرب إليه
بالذبح له وإن كان الذبح على اسم الله تعالى ، وليس المراد بماذبح
على النصب : ماذبح على غير اسم الله تعالى ، وإلا لكان قوله تعالى
(وماذبح على النصب) بعد قوله تعالى (وما أهل لغير الله به)
تكراراً مستغنى عنه

والنُّصْب هو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر

(١) وهم المتعبدون بالدين المشروع الخالي من بدعة وضلالة
لا الذين يعظمهم الجاهل علماء صلحاء وهم في الواقع جهلاء ضالون
مضلون .

أو حجر أو قبر أو غير ذلك ، فيدخل فيه القرايين التي تساق إلى بعض المشاهد من ضرائح الانبياء والأولياء وغيرهم للتقرب إليهم بذلك فأنها حرام أيضا ، ولا يحل تناول شيء منها وإن ذبحت على اسم الله وحده لأن القصد بها غير وجه الله تعالى بل تعظيم غيره والتقرب إلى ذلك الغير بالذبح فهي من قبيل النجاسات التي يجب طردها والالقاء بها إلى الكلاب

ثم ينبغي أن يعلم أن التعظيم يكون على قسمين: الأول تعظيم العبادة والثاني تعظيم الأكرام - وإن النوع الأول هو من أقسام الشرك دون الثاني وأن التقرب بالنحر والذبح هو من قبيل النوع الأول ، فإن قلت يجوز أن يكون التقرب بالنحر والذبح من قبيل النوع الثاني الذي هو عبارة عن تعظيم الأكرام لا من قبيل الأول الذي هو عبارة عن تعظيم العبادة ، قلت لا يجوز جعله من أقسام تعظيم الأكرام ، بل يتعين كونه من أقسام تعظيم العبادة ، وذلك من وجهين .

الوجه الأول : أن علامة تعظيم العبادة توقع المعظم من المعظم جلب النفع ودفع الضرر ، واعتقاد حصولها من تأثيره ، ولا شك أن المتقرب إلى أحد بالنحر والذبح يرجو النفع ويحذر الضرر ، بل ربما يدعو ويطلب ذلك منه ، ولا يجوز ذلك إلا من الله تعالى .

فان قلت ان الرسل عليهم الصلاة والسلام وكذلك صلحاء العلماء (١) هم وسائط بين الله وبين عباده ، فكيف لا يتوصل بهم إلى بلوغ المطالب ، وحصول المقاصد والمآرب ؟ قلت نعم إنهم وسائط بين الله وبين عباده ولكن في تبليغ الأحكام لا في جلب المنافع ودفع المضار .

فان قلت : أتفكر الأسباب فقد تكون الاستغناء بهم والطلب منهم ونحو ذلك أسباباً للانقاذ من المصائب ونحوها . قلت : الاعمال الدينية لا يجوز اتخاذها أسباباً إلا أن تكون مشروعة فان العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز لأحد أن يشرك بالله فيدعو غيره وإن تيقن أن ذلك سبب لحصول غرضه ، فان الشياطين قد تعين الناس على مقاصدهم استدراجاً لوقوعهم في شبكة الشرك واستحقاق العذاب ، كيف وقد قال الله تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين ، وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله) الآية

الوجه الثاني : أن التقرب بالنحر هو عبادة مالية ، ولهذا قرن مع الصلاة في قوله تعالى (فصل لربك وانحر) فالصلاة عبادة

(١) أي بحسب الواقع الذي يرضاه الله من العلم الصحيح والصالح الذي كان عليه الرسول ﷺ

رَدِّكُمْ عَنْ
مَشْرِيقِ رَحْمَتِهِ

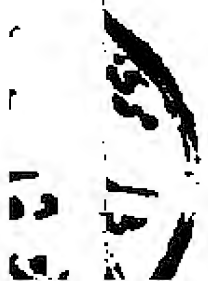
بدنية ، والنحر عبادة مالية ، وكأنه قال أخلص العبادتين لربك
 العبادة البدنية والعبادة المالية ، وخالف المشركين الذين يعبدون
 غيره ، وينحرون القرابين لغير وجهه ، وعلى غير اسمه . ولهذا
 قالت الفقهاء : لو ذبح الرجل لقدم أمير أو واحد من العظماء يحرم
 ولو ذكر اسم الله تعالى ، وللهيف لا يحرم .

ومن اتخاذ الأنداد : الذبح في المواضع التي كانت الجاهلية
 والكفرة يذبحون فيها لأوثانهم أو في أعيادهم وإن لم يكن هناك
 وثن ولا قبر ، لما ورد في الحديث عن ثابت عن الضحاك قال « نذر
 رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة ، وهي اسم
 مكان من الأرض ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله
 ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا لا قال فهل
 كان فيها عيد من أعيادهم قالوا لا فقال رسول الله ﷺ أوف
 بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه
 أبو داود ثم قال المؤلف أقول إنما كان النذر بالذبح في المواضع التي
 كان فيها وثن من أوثان الجاهلية أو عيد من أعيادهم حراماً ممنوعاً
 لأن فيه جر الناس وإيقاعهم في فتنة أن ذلك المكان فيه تأثير في
 جلب النفع ودفع الضرر ولأجل هذا كانت الجاهلية يندرون له
 ويتخذون له عيداً مخصوصاً وما يجر إلى تكفير الناس فهو كفر
 بالاتفاق ، ولأننا قد نهينا عن التشبه بالكفار ولو في العبادات فضلاً

عن غيرها ، ولذلك أمرنا رسول الله ﷺ في صيام يوم عاشوراء أن نصوم معه اليوم التاسع لنخالفهم في كل شيء حتى في خالص العبادات ، فأنا لو وافقناهم ولو في خصلة من خصال الخير لربما جرى الموافقة إلى غيرها مما يكون في خصال الشر إذ الشر سريع السراية فإذا فعلنا خصلة من خصال الخير فالواجب علينا أن نفعلها على هيئة مخالفة للهيئة التي يفعلونها .

ولكون الشر سريع السراية لما بلغ عمر رضى الله عنه أن الناس يفتابون الشجرة التي بويج تحتها النبي ﷺ أرسل إليها فقطعها وقد روى البخارى في صحيحه عن أبي واقد الليثى رضى الله عنه أنه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين ونحن حديثو عهد بالإسلام والمشركين مدرة يمكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم وأمتعتهم يقال لها ذات أنواط فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ثم قال ﷺ انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من قبلكم .

ومن اتخاذ الانداد ، تعظيم القبور بإيقاد الشموع والسررج عليها فقد أخرج أبو داود والترمذى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج .



أقول ولهذا قال العلماء لا يجوز نذر الشموع والزيت ونحو ذلك للقبور فإنه نذر معصية لا يجوز الوفاء به ، بل يلزم كفارة مثل كفارة اليمين .

ولا يجوز أن يوقف على القبور شيء من ذلك ونحوه كنذر الكسوة بالثياب لقبور الصالحين (١) أو وقف الأستار عليها للتعظيم ، فإن جميع ذلك حرام ، وغايته اتخاذ الأنداد لله تعالى

ومن اتخاذ الأنداد : الدعاء وطلب الحاجة من غيره تعالى والاستغاثة بما سواه (٢) قال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كياسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالفه ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) الآية وقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعواهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) وكان

(١) هم الذين عملوا بالقرآن والحديث على الوجه المشروع في غير تقليد وبدع ومنكرات (٢) أي في الأمور المختصة به كشفاء المرضى .

أقوام من الكفار يدعون المسيح وعزيراً والملائكة والأنبياء ،
 فيبين الله سبحانه وتعالى لهم أن هؤلاء لا يستطيعون أن يكشفوا
 عنهم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ، ولا أن يحولوه من واحد
 إلى آخر ، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، وقال تعالى
 (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم
 لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
 بشرككم ولا يذهبئك مثل خبير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين
 زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في
 الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع
 الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) الآية

وفي هذه الآية الأخيرة خمسة فوائد : الأولى قوله تعالى
 (من دونه) أى من تزعمون أنه يقضى لكم حاجة من دون الله تعالى
 كائناً من كان نبياً أو ولياً ، شجراً أو حجراً ، جنياً أو انسياً
 الثانية : أن غير الله لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في
 الأرض ، فإذا كان غير الله لا يملك شيئاً فكيف نطلب من الذى
 لا يملك شيئاً .

الثالثة : ليس لغير الله شركة معه فى شيء من الربوبية
 والالوهية حتى تطلبه من خلقه .

الرابعة أنه ليس لله معين فى أمر من الأمور حتى تطلب منه

وتقول المعين يفعل ما يريد ولا يخالفه المعان ، والله تعالى غنى عن
سواه بل ماسواه قائم به كما قال تعالى (والله الغنى وأنتم الفقراء)
وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد)

الخامسة : ولا يتكلم عنده بشفاعاة أحد فتتفع شفاعته إلا أن يأذن
له بالكلام كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون
إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً) وهو لا يأذن إلا لأهل التوحيد

المذكر
صفحة
٩٥

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال كنت خلف النبي
ﷺ يوماً فقال يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ،
احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت
فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم
ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك
بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام
وجفت الصحف) رواه الترمذى وقال حديث حسن ، وفي رواية
غير الترمذى « احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء
يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك
لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب
وأن مع العسر يسراً »

وإنما كان تعظيم القبور بما ذكرنا والاستغاثه بأهلها من أنواع
اتخاذ الانداد لأن هذه الأشياء من جنس العبادة ، وقد قال الله تعالى

(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) ولأنها إما للاستمداد وطلب المعونة منهم في قضاء الحوائج وهو كفر صريح أو لاتخاذهم واسطة بينهم وبين الله تعالى وشفعاء لهم عنده في تحصيل المقاصد وهو دين الكفار وعباد الأوثان الذين قال الله تعالى في حقهم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال في حقهم أيضا (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانع بهم إلا ليقرّبونا إلى الله زافى) ولما قال الكفار نحن لا نعبد الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل أشخاص كانوا عند الله من المقربين ، فنحن نعبدها لأجل أن يصير أولئك الأكابر شفعاء عند الله تعالى نزل قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) رداً عليهم ، وتقرير الرد أن يقال ، انكم أيها الكفار إما ان تعتقدوا أن الشفاعة من هذه الأصنام أو من الأشخاص التي هذه الأصنام تماثيل لها ، والاول باطل بالبدهة إذ لا يتصور صدور شفاعة من الذي لا يملك شيئاً ولا يعقل ، والثاني أيضا باطل لأن أحداً لا يقدر على الشفاعة إلا بأذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله تعالى .

ومن اتخاذ الأنداد : إطاعة الرؤساء والسادة في تحريم ما حرّموه وتحليل ما حلّوه مما لا يوافق أمر الله تعالى وحكمه روى أن عدي بن حاتم رضى الله عنه قال لرسول الله ﷺ

لما سمع قول الله تعالى في حق أهل الكتاب (اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم) الآية يارسول
الله لم يكونوا يعبدونهم فقال ﷺ « أليس يحرمون ما أحل الله
فيحرمونه ويحللون ما حرم الله فيحللونه ؟ فقال بلى ، قال : ذلك
عبادتهم »

وقال الربيع قلت لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في
بنى اسرائيل ؟ قال ربما أنهم وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف
أقوال الاحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله
ومن المحرمات اتخاذ التماثيل والتماثيل فقد روى البخارى
ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال سمعت رسول
الله ﷺ يقول « أشد الناس عذاباً عند الله المصورون » وروى
البخارى ومسلم عن أبي طلحة رضى الله عنه أنه قال : قال النبي
ﷺ « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » وروى
البخارى ومسلم أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنه قال سمعت
رسول الله ﷺ يقول « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة
صورها نفلاً تعذبه في جهنم » وروى الترمذى عن أبي هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يخرج عنق من النار
يوم القيامة لها عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق
ويقول إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد ، وكل من دعا مع الله

إلها آخر ، وبالمصورين « وروى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب ، وهو صنع الصليب وتصويره وهو شيء مثلث يعبد به النصارى ، وعن سعيد بن جبير قال كنت عند ابن عباس رضى الله عنه فأتاه رجل وقال أنى رجل معيشتى من هذه التماثيل فقال ابن عباس رضى الله عنه سمعت رسول الله (ص) يقول إن الله يعذبه حتى ينفخ وليس بنافخ ، ومن استمع حديث قوم يفرون منه صب في أذنيه الآنك ومن يرى عينه في المنام ما لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين : قال المؤلف : لعل العلة في تحريم اتخاذ التماثيل والتماثيل أنه يحجر إلى تعظيم الصور والوقوع في عبادتها .

وعن عائشة رضى الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأتها بالحبيشة فيها تماثيل لرسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة ، رواه مسلم

قال العلماء ففعل ذلك أولئك ليس تأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدوا كالجهادهم ويعبدوا الله عند قبورهم فمضت لهم بذلك أزمان ، ثم انهم خلف من بعدهم خلف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم الشيطان أن آباءهم وأجدادهم كانوا

يعبدون هذه الصور فعبدونها ، وكان هذا مبدأ عبادة الأصنام .
 فإن قيل : الحديث السابق وهو قوله (ص) « أشد الناس عذابا
 عند الله المصورون » يقتضى أن يكون المصورون أشد عذابا من
 فرعون وأمثاله مع أن كفر هؤلاء ثابت مقطوع به ، والمصورون
 غير مقطوع بكفر كل فرد منهم ، لأن تصويرهم للصورة يجرهم إلى
 الشرك وعبادة الأصنام وقد لا يجرهم إلى ذلك

في الصلب
عبد

قيل يحتمل أن يكون المراد من الحديث أن أشد الناس
 استحقاقا للعذاب المصورون لتشبههم بالخالق ، فتصويرهم الصور
 كالمتضمن لدعوى الخلق ، ومن ثم جاء في الحديث أنه يقال
 للمصورين يوم القيامة « أحيوا ما خلقتم » وحينئذ لا يشك بفرعون
 وأمثاله ، فانهم مع ادعائهم الألوهية لم يدعوا الخلق ، ولا يلزم من
 أشدية استحقاق الشخص للعذاب استحقاقه أشده ولا أن يعذبه

في عبد الله

ثم أقول إنما استحق المصورون العذاب الأشد لأن تصويرهم
 للصور مما يتسبب لعبادتها أو يدل على تحقيق رضاهم بها والرضا
 بالشرك وعبادة الأصنام هو عين الشرك

وهنا أبحاث لازمة عما يوقعك في الافتتان ويجر إلى عبادة
 الأوثان فمنها الحلف بغير الله تعالى فقد روى الترمذي وابن حبان
 والحاكم بأسنادهم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال سمعت
 رسول الله (ص) يقول « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك »

والحكمة في النهي عن الحلف بغير الله أن الحلف يقتضي تعظيم
 المحلوف به ، وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى لا يضاهي بها غيره ،
 وأيضاً إن الحلف معهود بما هو المعبود وهو الله تعالى فإذا وقع من
 إنسان حلف بغير المعبود الحق باعتبار تعظيم ذلك الغير عنده كان
 ذلك لتنزيله منزلة المعبود الحق ، وادعاء المساواة بينهما كفر
 وشرك ، فإن عماد الاسلام تعظيم الله وتعظيم أمره فقط

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال لأن أحلف
 بغير الله صادقاً أشد عليّ من أن أحلف بالله كاذباً

ووجه ذلك أن الحلف بغير الله صادقاً نوع من الشرك ،
 والحلف بالله كاذباً معصية ، والمعصية أخف من الشرك وأسهل ،
 والحلف بغير اسم الله تعالى فيه تعريض إلى الكفر ، والحلف باسمه
 تعالى فيه تعريض إلى المعصية ، لأنه إن كان كاذباً فقد أتى
 باليمين النعوس التي تدع الديار بلاقع وغمس صاحبها في الائم ، وإن
 كان صادقاً فقد جعل اسم الله تعالى عرضة للإيمانه وأساء لأن
 الدنيا أخس من أن يقصد ترويعها بذكر الله تعالى

وفي المحيط قال علي الرازي : أخاف على من يقول بحياتي
 وحياتك وما أشبه ذلك الكفر لظاهر قوله تعالى (فلا تجعلوا لله
 أنداداً) وقوله (ص) « من حلف بغير الله فقد أشرك »

هذا كله من أوله إلى هنا كلام الشيخ المؤلف صحيفة ١٦

الحلف بغير الله
 كاذباً معصية
 الحلف بالله
 صادقاً شرك

إلى ص ٢٩ من رسالته المخطوطة : ثم قال فيها ص ٦٢ :

وقال النبي ﷺ « كذب المنجمون ورب الكعبة » وقال ﷺ « إذا ذكر النجوم فأمسكوا » وقال (ص) « من آمن بالمنجوم فقد كفر بما أنزل على أبي القاسم صلى الله عليه وسلم »

قال المؤلف : فأقول المنجمين كلها ظنون كاذبة وأحاديث ملفقة لا طائل تحتها ، لأن الحكم على وقوع شيء إما أن يكون بالحس أو بالعقل أو بالشرع أو بالتجربة والعادة المستمرة المتوافرة أما معرفة علم الساعة بالحس فمحال بالاجماع ، وأما بالعقل فلا برهان لأهل الأحكام النجومية من حيث العقل أصلا ، وماتكافوا في ذلك فخرافات وتمويهات يضحك منها الصبيان والمجانين ، فضلا عن العقلاء . وأما الشرع فقد أخبر بإخفائه عن المخلوقات كلها كما سبقت لك الآيات المذكورات . وأما التجربة واستمرار العادة والتواتر فمعدومه أيضا ، لأن التجربة إنما ينفذ بها في الأمور المحسوسة الواقعة على الأكثر الأغلب ، لا على النادر المستغرب ، والعادات إنما تكون مستمرة متكررة . وقد شاهدنا أحكامهم غير متكررة ولا مستمرة ، بل تصيب مرة ، وتخطئ ألف مرة ، والعادات ليست كذلك ، والتجارب إنما تكون بالامتحانات الطويلة وهي في أحكامهم باطلة . اه كلام المؤلف ثم قال ص ٦٤ :

وأما التطير فأصله التفاؤل بالطير ، وذلك أن العرب في الجاهلية كانت عاداتهم أنهم إذا خرجوا لحاجة فإن رأوا الطير

الوحش يمر بمنة يتبركون به وينذهبون في حاجاتهم ، وان رأوا
الطير الوحش يمر يسرة يتشاءمون منه ويرجعون الى بيوتهم ،
وربما كانوا ينفرون الطيور أو الوحوش فينظرون اليها كذلك .
ثم استعمل التطير في كل ما يتفاهل به سواء كان طيراً أو غيره
وكله حرام . ويدخل فيه الغأل الذي يفعل في زماننا ، حفظنا الله
من مضلات الفتن ماظهر منها وما باطن . قال (ص) « ثلاث لا ينجو
منهن احد : الظن والطيرة والحسد . وسأحدثكم بالخروج من ذلك
إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض ، وإذا حسدت فلا تبغ »
هذا كلامه ثم قال ص ٦٦ :

ومما يجر الى الافتتان : حب المال والجاه والرياسة فانه ينتهي
إلى درجة الكفر ، ويوقع صاحبه في الهلاك المؤبد كما وقع ذلك لعلماء
اليهود والنصارى ورؤسائهم خافوا إن هم بينوا صفة محمد (ص)
وتابعوه وآمنوا به أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة ، فاختاروا
الدنيا على الآخرة فضلوا وأضلوا ووقعوا في فتنة الكفر . فعوذ
بالله من ذلك . قال رسول الله (ص) « حب الدنيا رأس كل خطيئة »
حديث ضعيف . وذلك لأن حبها يدعو الى كل خطيئة ، ظاهرة
وباطنة . لاسباب التي يتوقف تحصيلها عليها ، اذ يوقع أولاً في
الشبهات ثم في المكروهات ثم في المحرمات ، بل كثيراً ما يوقع في
الكفر . ألا يرى ان جميع الأمم المكذبة لأنبيائهم انما حملهم على
كفرهم حبها ، فان الرسل عليهم السلام لما نهوا عن المعاصي التي

سبب
صحيح
ضعيف
درست

كانوا يكسبون بها الدنيا ، حملهم حبها على تكذيبهم . فكل
خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا

ومما يجر الى الافتتان : الشح الشديد والبخل ، وعدم إنفاق
المال في حقوقه

ومما يجر الى الافتتان الكبير ، قال رسول الله (ص) لا يدخل
الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر . اه باختصار
ثم قال صحيفة ٦٧ :

ومن أسباب الكبر الشهرة وقد قال (ص) بحسب امرىء
من الشر أن يشار اليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله
ومما يجر الى الافتتان مداومة النظر الى النساء الأجنيات .
وقد روى معاذ بن جبل عن رسول الله (ص) انه قال « اتقوا الدنيا
واتقوا النساء » وأخرج ابن أبي شيبة : لم يكن كفر من مضى الا
من قبل النساء وهو كائن كفر من بقي من قبل النساء (١)
وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة (رض) قال قال رسول الله
(ص) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركها من خوف
الله أنابه الله إيماناً يجتد حلاوته في قلبه (٢)

وورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما من مسلم ينظر الى
امرأة بأول رمقه ثم يفض بصره الا أحدث الله له عبادة (٣) الخ

(١ و ٢ و ٣) يجب التوقف في تصحيح هذه الاحاديث

هذه هي حقايد
ص طريش

لا ي
يصلهم
ص طريش

٢
أى
بعض

ومما يجر الى الافتتان ، الحسد فقد قال (ص) دب اليكم داء
الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء هي الحالقة . لا أقول لسكم تحلق
الشعر ولكن تحلق الدين

برضى وانما كانت هذه الخصلة حالقة للدين لانها تمنع الانسان من
فعل الخيرات والمحبة الكاملة في الله ، لان الممتلىء صدره حسداً
أو بغضاً لا يكمل محبة ، ولا يجد حلاوة الطاعة في قلبه ، فانه لم يرض
بقضاء الله تعالى . ثم قال :

(تنبيه) اعلم أن أصول الضلال ثمانية أشياء : فذكر منها
الشرك وعد من أنواعه شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين
وشرك الأسماء كما قال تعالى (جعلناه شركاء فيما آتاهما) الآية .
قال وهو أن سمياه عبد الحارث (١) ثم قال :

(الثالث) شرك في الأوصاف كاعتقاد اتصاف غير الله تعالى
أى غير كان من نبي أو ولى أو غيرها بما هو مختص بالله تعالى
كعلم الغيب وشبهه الأعلى اعتقاد اخبار الله به ، كالشرائع التى
أخبر الله بها رسله . ثم قال :

(الخامس) شرك التقليد كشرك من قال إنا وجدنا آباءنا على
أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وهم وآباؤهم في ضلال مبين

(١) يجب أن يتوقف في هذا التفسير للآية وفي نسبة هذا الشرك
من قبل الله إلى آدم وحواء لانه لم يثبت سند الرواية بذلك

(السادس) شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كعمل المرائين . ثم قال :

(السابع) شرك تقريب، وهو عبادة غير الله تعالى ليتقرب بها إلى الله كشرك عباد الأصنام . ثم ذكر من أصول الضلال التقليد الردى ، وهو متابعة الغير لأجل الحمية والتعصب من غير طلب للحق . ثم قال :

الثامن (أى من أصول الضلال) الجهل المركب وهو أن يجهل الرجل الشيء ويجهل جهله به . واحترزنا به عن الجهل البسيط فان صاحبه جاهل ويدرى بأنه جاهل فيجتهد في التعليم ، بخلاف صاحب الجهل المركب
ثم قال فى خاتمة رسالته :

والله سبحانه وتعالى ولى التوفيق والانعام ، يؤتى المملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ، ويعز من يشاء وينذل من يشاء بيده الخير انه على كل شىء قدير ، وبعباده خبير بصير ، وبه المستعان ، وعليه التكلان ، فمن آمن به هداه ، ومن توكل عليه كفاه ، لا راد لما قضاه ولا مبدل لما أمضاه ، وهو أعلم العالمين ، وأقدر القادرين .

هذه حاشية البراهين المهدية الى العقائد المنجية
لمؤلفها العلامة عبد الله بن محمد الحسو

قال المؤلف : يجب على كل إنسان معرفة أن صانع العالم واحد
(أقول) قال الامام البخارى في صحيحه « باب العلم قبل القول
والعمل » لقول الله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) فبدأ بالعلم . وقال
جل ذكره (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال (وما يعقلها
إلا العالمون) (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)
وقال (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال النبي
« من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين » اهـ

قال شارحه العسقلاني : قال ابن المنير : أراد (أى البخارى)
به أن العلم شرط في صحة القول والعمل ، فلا يعتبران إلا به ، فهو
متقدم عليهما ، لأنه مصحح للنية المصححة للعمل
ثم قال (أى العسقلاني) قوله (فبدأ بالعلم) أى حيث قال
(فاعلم أنه لا إله إلا الله) والخطاب وان كان للنبي (ص) فهو متناول
لأمته . وينتزع من هذه الآية دليل وجوب المعرفة
وقوله (نو كنا نسمع أو نعقل) قال شارحه : فاعلمنى لو كنا
من أهل العلم لعلمنا ما يجب علينا فعملنا به فنحنونا

وقال أيضا عند قول البخارى «وانما العلم بالتعلم» هو حديث مرفوع إسناده حسن . والمعنى : ليس العلم المعتبر الا المأخوذ من الأنبياء على سبيل التعلم . اهـ ملخصاً

فثبت بما نقلناه دليل ما ذكره المؤلف من وجوب معرفة وحدانية الله ، فان هذه المعرفة هي المقصودة من شهادة أن لا إله الا الله . ولا خلاف في أن الدخول في دين الاسلام لا يكون الا بهذه الشهادة مع ضم شهادة أن محمداً رسول الله ، بشرط أن يعلم قائل الشهادتين معناهما بقلبه ويجزم به من غير تردد . وأما إن تلفظ بهما من غير علم بمعناهما فلا يكون قائلهما والحالة هذه مساماً بل مناققاً في الدرك الأسفل من النار

ويدل على ذلك أمور (أحدها) أنهم اتفقوا على أن معنى (أشهد) أعلم وأتيقن ؛ لا أجهل وأتلفظ من غير علم بمعنى لا إله الا الله قال القارى في شرح النخبة ص : ثم معنى «شهد» أقر من صحيح قلب ، وأخبر عن علم يقين «أى بمعنى لا إله الا الله» فعلى هذا متى قال العبد : أشهد أن لا إله الا الله ، جاهلاً بمعناها أو غير شامل بعقضاها ، لم يكن مقراً من صحيح قلبه بهذه الشهادة ، ولا مخبراً عن علم يقين بمؤداها ، بل يكون لا محالة كاذباً بقوله أشهد أن لا إله الا الله ، لأنها متضمنة حينئذ لقوله : آمنت بالله من غير إيمان متحقق في قلبه

وقد نفى الله الايمان عن هذا شأنه بضمون قوله تعالى (ومن
للناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) ولأنه
تعالى قد كذب المنافقين في قولهم نشهد انك لرسول الله، لأن
التصديق بمعنى هذه الشهادة لم يكن داخلا في قلوبهم
قال البيضاوى في تفسير آية (ومن الناس من يقول آمنا بالله
وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) لما افتتح سبحانه بشرح حال أهل
الكتاب ثلث بالقسم الثالث وهم الذين آمنوا بأفواههم، ولم
تؤمن قلوبهم، وهم أخبت الكفرة وأبغضهم إلى الله، لأنهم موهوا
الكفر وخططوا به خداعا، ولذلك طوّل في بيان خبثهم وجهلهم،
وتهمك بأفعالهم، وأنزل فيهم (إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار)

ثم قال في تفسير قوله تعالى (وما هم بمؤمنين) انكار ما ادعوه
ونفى ما انتحلوا اثباته. ثم قال: والآية تدل على أن من ادعى الايمان
وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا، لأن من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه أو ينافيه لم يكن مؤمنا. اه كلامه

(وثانيها) قول الامام البخارى في صحيحه: باب قول النبي
(ص) «أنا أعلمكم بالله» وان المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى
(ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم) قال شارحه العقلاى:
مراده الاستدلال بهذه الآية على أن الايمان بالقول وحده لا يتم

إلا بانضمام الاعتقاد اليه ، والاعتقاد فعل القلب . اه ملخصاً
 (وثالثها) قول النبي (ص) لأبي هريرة « رض » يا أبا هريرة
 اذهب فن لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره
 بالجنة . رواه مسلم في صحيحه

قال شارحه النووي: وفي هذا دلالة ظاهرة لمذهب أهل الحق
 أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق ، ولا النطق دون الاعتقاد
 بل لابد من الجمع بينهما ، وذكر القلب لالتأكيد ، والا فلا استيقان
 لا يكون إلا بالقلب . اه

والأحاديث الصحيحة بهذا المعنى كثيرة ، منها حديث مسلم
 أيضاً « من مات يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة » فقد جعل النبي
 (ص) بهذا الحديث : العلم بمعنى لا إله إلا الله شرطاً لدخول الجنة فلا
 يمكن إذا دخول الجنة بغير ذلك ، كما أن الصلاة لا تمكن صحتها
 بغير وضوء لكونه شرطاً لصحتها ، وكما أن اعتقاد صحتها بغير
 وضوء كفر لكونه مستلزماً لإنكار أمر ضروري : كذلك اعتقاد
 دخول الجنة والنجاة من النار من غير علم بمعنى لا إله إلا الله ومن
 غير عمل بمقتضاها كفر مجمع عليه لاستلزامه إنكار ما علم أنه
 عمدة الدين وأساسه بالضرورة وبالاتفاق على أن من لم يكن عالماً
 بمعنى الشهادتين ولا عاملاً بمقتضاها بل مناقض لها بأفعاله أو
 أقواله فالجنة عليه حرام ، لأنه لا يكون والحالة هذه من أهل القبلة

وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم ، لأن المراد بأهل القبلة عند أهل العلم من كان عالماً بالشهادتين غير منكر لما علم أنه من الدين بالضرورة مع العمل بمقتضاها من أركان الإسلام على وجه مشروع غير مبتدع .

أفبعد كل ما تقدم لا يكون من البلية تشدق بعض أديعاء الغيرة على العلم وعلى الدين بقوله : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وقد فات هذا النبي أن يزعمه هذا يكذب القرآن والحديث وإجماع المجتهدين على وجوب معرفة معاني الشهادتين وسائر العقائد الإسلامية ثم كيف نفل أو تفاضل عما هو واقع ومشاهد وهو أننا لو أخبرنا جميع البشر على اختلاف مللهم ونحلهم بأن مجرد تلفظهم بالإله إلا الله ضمان لهم بدخول الجنة لما تخلف منهم أحد عن النطق بها طمعاً في دخول الجنة ، وذلك يستلزم نجاتهم من دخول النار ، وهو مبطل لقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية . ومبطل أيضاً لقوله تعالى (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد ؟) حيث تبقى جهنم خاوية خالية تندب حظها .

بل ومبطل آيات كثيرة بل لجميع القرآن ، وهذا المعنى هو رفض لحقيقة الدين ، وانزعاع لقواعده من الأعناق ، وترويج للالحاد والمروق من الدين كما هو مشاهد الآن عياذاً بالله وما لا يخفى أن معتقد ذلك محكوم عليه شرعاً بأنه من جملة

المنافقين ، لأنه لم يفكر في معنى الشهادتين ولا في معنى ما يتعبد به من الأقوال والأفعال ، فيكون كل ما تعبد به مردوداً عليه ، وذلك لعدم العلم المصحح للنية الشرعية المصححة للعمل والمقتضية لقبوله ، فكانت أعماله بالضرورة واقعة على غير الوجه المشروع الذي أمر به النبي ﷺ ، ولأنه جاهل بمعبوده لا يعرف من يعبد ولا من يوجه إليه عبادته .

وقد ذكر في الفتح أن السبب الذي اقتضى حبوط أعمال المشركين هو جهلهم بمعبودهم مع أن أولئك يعرفونه ببعض أوصافه كالربوبية معرفة صحيحة بمعانيها الصحيحة غير محرفة ولا مبدلة ، ولا مبنية على قواعد اليوزن ولا فيها من دين الباطنية شيء ، بخلاف كثير من الذين ينتسبون إلى الإسلام فإنهم لا يعرفونه تلك المعرفة ، وقد حكم صلوات الله عليه على من هذا شأنه بأن أعماله مردودة عليه ، وذلك في الحديث المتفق عليه ، ولفظه « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَوَرَدَ »

وهناك مصيبة أعظم من مصيبة الكافرين الأصليين ، ألا وهي اعتقاده أن هذا الدين الباطل المخترع هو بعينه الدين الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله ، ويؤيد هذا ما ذكره الشعراني في كتاب العهود المحمدية الموضوع بهامش كتاب المئين ج ١ ص ٣٠ حيث قال: أخذ علينا العهد العام من رسول الله (ص) إذا لم نجد

أحداً نتعلم منه السلم الشرعى فى بلدنا أن نسافر إلى بلد فيها العلم
وهى هجرة واجبة علينا لأن ما لا يتم الواجب إلا به واجب .
وهذا العهد قد أخل به كثير من الخلق ومانوا على جهلهم ،
مع أن العلماء فى بلدهم ، وربما كانوا جيراناً لهم ، وقد قال العلماء
من صلى جاهلاً بكيفية الوضوء والصلاة يعنى أو غيرهما من
الشهادتين والمقائد الصحيحة المرضية لله لم تصح عبادته وإن
وافق الصحة فيها ، ويؤيده الحديث الصحيح مرفوعاً كل عمل
ليس عليه أمرنا فهو رد .

وتأمل من كان عنده شك لما يسأله منكر ونكير عن دينه
وعن نبيه (ص) فيقول لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً
فقلته ، كيف يضربانه بمرزبة لو ضرب بها جبل لهدم كما ورد ،
تعرف أن الشارع فرض عليك معرفة مراتب العبادات ، وأنه
لا يكفيك أن تدع الناس على فعلهم من غير معرفة ، والله يهدي
من يشاء إلى صراط مستقيم .

ويؤيده أيضاً قول القنوى فى حاشية البيضاوى ج ١ ص ١٠٤
توجه النفس إلى المجهول المطلق محال بالبداهة وبالاتفاق ١ هـ .
ومعنى هذا أن العبد الذى يجهل معبوده لا يمكنه أن يتوجه بقلبه
أو يوجه نفسه إلى ربه فى عبادته ودعائه والاستغاثه به والايان
به والتوكل عليه ونحو ذلك من العبادات التى مرجعها القلب
ومطاوعة النفس ما دام جاهلاً بمعبوده أو معتقداً أن معبوده

لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه ولا مستوياً على عرشه ونحو ذلك من عقائد المتكلمين والفلاسفة والمنطقيين ، كما لا يصح أن يستغيث في خلاصه من كربة دنيوية برجل مجهول لا يدري أين مقره ولا يعلم أنه داخل العالم أو خارجه ، وذلك لأن الاستغاثة تستلزم التوجه إليه إذا كان معلوماً أنه موجود في جهة من الجهات الست حتى يمكنه بواسطة ذلك التيقن بوجوده وقدرته على إسعافه بمطلوبه .

أما تقليد الآباء وغيرهم في كون ذلك الرجل له وجود في غير الجهات الست وله قدرة وهو المسعى بالملك الكريم غير أنه ليس له مكان معين ولا جهة مخصوصة ولا هو داخل العالم ولا خارجه فإن ذلك لا يفيدُه علماً ، بل الفطرة والعقل يحكان بتكذيب الناقلين لوجود موجود خالق أو مخلوق على هذه الصفة ، فافهم المقصود إن كنت من ذوى الألباب .

وعلى تقدير أن يكون الناقل عالماً بذلك الملك على وجه الصواب فلا يفيد ناقله علماً أيضاً ، بل ظناً ، لأنه تقليد ومفاده الظن بالإجماع الذي نقله ابن عبد البر عن العلماء وقد حكم الله على الظن بأنه لا يغنى من الحق شيئاً

(تص ٣) أي حقيقة ذاته وكيفيةها ، وكذا حقيقة صفاته وأفعاله وكيفيةاتها فإن ذلك كله مجهول للعباد ، وإنما المعلوم ما أخبر الله به ورسوله مما ورد من ذلك في الكتاب والسنة فيجب على كل مكلف اعتقاد معاني ذلك حسب ما يقتضيه

الشرع واللغة وتفويض معرفة الكيفيات إلى العالم بها وهو الله وحده كما قال الإمام مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب .

ففرق رحمه الله بين أصل معنى الاستواء حيث جعله معلوماً لغة وشرعاً وبين الكيف فجعله مجهولاً وحده دون الاستواء مع إقراره به وإيجاب الإيمان بمعناه المعلوم ، على تقدير عود الضمير إلى الاستواء ، ويحتمل عوده على الكيف وهو أقرب وهماً ، أى وجوب الإيمان بالاستواء وبكيفية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر . هذا مذهب الإمام مالك وأمثاله من السلف الصالح ، ولو كان مذهبه الجهل بأصل معنى الاستواء كما هو الحال في الكيف كما يزعمه المتكلمون كيف يمكنه حينئذ التفريق بينهما بأن يحكم على الأول بأنه معلوم ، وعلى الثاني بأنه مجهول .

والعجب كل العجب ممن يزعم أن مذهب الإمام مالك وغيره من السلف هو الجهل بمعنى أصل الاستواء بعد تصريحه بأن معنى الاستواء (معلوم) وأن الكيف وحده هو (المجهول) فقل لى بربك هل جاء فى اللغة أو الشرع أن معنى كلمة (معلوم) هو بعينه يفيد معنى كلمة (مجهول) ولو جوزنا ذلك لزمنا الجمع بين المتضادين المتناقضين فى اللغة أو الشرع ، وبذلك نكون قد حكمنا على تعطيل عقولنا عياداً بالله .

قال ابن كثير فى تفسيره ج ١ ص ٢٥ العبادة فى اللغة من

الذلة وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف .
انتهى مختصراً . قال البيضاوى في تفسير (إياك نعبد) والعبادة
أقصى غاية الخضوع والتذلل ، وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام
والدلالة على الحصر ، ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه :
معناه (أى معنى إياك نعبد) نعبدك ولا نعبد غيرك ، انتهى .
ومن هذا يعلم أن المقصود من قول العبد (إياك نعبد)
اعطائه العهد لربه بأنه يحبه كمال المحبة ويخضع له كمال الخضوع ،
ويخافه كمال الخوف ، ولا يحب غيره إلا بالتبع لمحبته وامتنالاً
لأمره وابتغاء لمرضاته تعالى .

وكذلك يتضمن قوله ذلك : عقد الميثاق مع الله تعالى بأنه لا يتذلل
لغيره ولا يخاف سواه ، وهذه العهود والمواثيق كما أنها مستفادة من
معنى (إياك نعبد) فهي أيضاً مستفادة من معنى (شهادة أن لا إله إلا الله)
وعلى هذا ففى قال العبد هاتين الجملتين ولم يكن متصفاً بما ذكر
نفياً وإثباتاً فهو كاذب فى النفى والإثبات المذكورين فى البيان
المار ذكره لمعنى (إياك نعبد) و (لا إله إلا الله) قال العسقلانى فى
شرح البخارى ج ١١ ص ١٩٩ ناقلاً عن بعض المحققين مانعه :
من كان عبداً لهواه لم يصدق فى حقه (إياك نعبد) انتهى .
وقد ذكر فى راموز الأحاديث ج ٢ ص ٤٨١ حديث :
لا يزال قول لا إله إلا الله يدفع سخط الله عن العباد حتى إذا
نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون مانع من دينهم إذا سلمت لهم دنياهم .

فقالوا : لا إله إلا الله ، عند ذلك قال الله لهم : كذبتم . (١) رواه
الحكيم عن أنس . قال الشارح ج ٥ ص ١٤٩ في شرح عبارة « قال
كذبتم » فيما قلتم

وفي حديث الأصفهاني عن أنس « رض » أن رسول الله « ص »
قال « لا تزال لا إله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة
ما لم يستخفوا بحقها » قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها ؟ قال
نظر العبد بمعاصي الله فلا ينكر ولا يغير (٢)

وقال أيضاً في ج ٥ : ١٩ تحت حديث « لا تزال لا إله إلا الله
تجلب » أي ترد وتمنع « غضب الرب عن الناس في الدنيا والآخرة
إذا عظم شأنها » ثم قال : إن المؤمن إذا صلح دينه لا يبالي بما فاتته
من دنياه ، قال تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما
آتاكم)

قال : ومن آفات القلب الخوف من أمر الدنيا ، وهو التوجع
والتأسف على ما فات من النعم الدنيوية

ثم قال في شرح حديث « فإذا قالوها » أي كلمة الشهادة على
عدم صدقها ، قيل كذبتم لستم من أهلها على صدق ورشد ، ثم قال :
رواه ابن النجار عن زيد بن أرقم اه
ثم ذكر بهذا المعنى أحاديث ببارق متعددة

ويؤيد هذه الأحاديث من حيث المعنى آية (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) وكذلك يؤيدها اشتراط النبي (ص) الاخلاص في قولها والعلم بمعناها كما جاء في حديث « شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصا يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه » أخرجه البخاري ، وحديث « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » رواه احمد ، ذكره في راموز الأحاديث ، ونقل شارحه الطيبي أنه جملة كقوله تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال الطيبي أي حقق ما أورده قولاً بما تحراه ، وبهذا التقرير يندفع عن ظاهر الأخبار « منع دخول كل من نطق بالشهادتين النار ، وان كان من الفجار »

ثم ذكر تنمة الحديث بقوله : قالوا يا رسول الله فما إخلاصها ؟ قال : أن تحجزكم — أي تمنعكم — عن كل ما حرم الله عليكم
ثم قال : قال الغزالي معنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شركة لغيره ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ، ومقصود قلبه ، ومن هذا حاله فالدنيا سجنه لمنهها له عن مشاهدة محبوبه ، وموته خلاصه من السجن وقيدوم على محبوبه اه يؤيد قوله هذا حديث « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » إشارة الى أن الكافر متمتع بآلهته التي هي تنعمه بزوجته وولده ، وتفاخره بهاله ورياسته التي هي روحه من الدنيا ومقصوده الأقصى وغير ذلك من معبوداته

للباطلة ، مثل الوجود المطلق والوجود البسيط الكلي الذي يسمونه واجباً ، والحقيقة أنه معدوم لا يمكن أن يكون له وجود أصلاً ، وأما الله سبحانه فمحبوبه بالتبع أي محبه لأجل إعطائه تلك الأشياء التي اتخذها آلهة من دونه ، فلم تكن الدنيا مانعة له عن نيل محبوباته الأصلية ، لأنها في متناول يده ، فلذلك كانت الدنيا جنة له

إذا علم ذلك فنقول : لا يمكن التحقق بمحبة الله التي بها يحصل الايمان والاخلاص من الشرك إلا بعد معرفة الله بأسمائه وصفاته ، قال الغزالي في الاحياء : فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك ، إذ لا يحب الانسان الا ما يعرفه ، ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جهاد بل هو من خاصية المدرك اه

وقال شيخ زاده في حاشية البيضاوى : وأكثر المتكلمين أنكروا محبة الله تعالى وأولوها ، وهذا القول ضعيف اه
وقد رد عليهم الغزالي في الاحياء بعد أن أقام الأدلة على ثبوت محبة الله ونوقف طاعته عليها حيث قال : فلا ينكر إذا محبة الله تعالى الا من قعد به القصور في درجة البهائم ، فلم يجاوز ادراك الحواس أصلاً ، اه

وقال فيه أيضاً : اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله (ص) فرض ، وكيف يفرض ما لا وجود له ، وكيف

يفسر الحب بالطاعة ، والطاعة تبع الحب وثمرته ، فلا بد أن يتقدم الحب ثم بعد ذلك يطيع من أحب . ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل (يحبهم ويحبونه) وقوله تعالى (والذين آمنوا أشد حبا لله) وقد جعل رسول الله (ص) الحب لله من شروط الايمان في أخبار كثيرة . اه باختصار

ولا ريب أن المحبة الذاتية عبادة وتأله لمن تعلقت به لغة وشرعا أما شرعا فلقوله تعالى (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) قال الألوسي في تفسيره (ج ٢ ص ١٩٩) أى أفرايت الذى جعل هواه إلها لنفسه ، والهوى بمعنى المهوى مثله فى قوله :
هواى مع الركب البمانين مصعد

وحكمها غام وفيها من ذم اتباع هوى النفس ما فيها اه ملخصا
ولولا أن المحبوب مطلقا - بحق أو باطل - يسمى إلها لغة
وشرعا لما أطلق عليه سبحانه اسم الإله
وأما لغة فقد قال الجوهري فى الصحاح (ج ٢ ص ٤٢١) إله
إلهة أى عبد عبادة . اه

وبهذا يثبت أن الإله معناه المعبود ، ولذلك اتفق عليه عامة
المفسرين . قال فى الصحاح : ومعنى تيم الله : عبد الله ، وأصله من
قولهم : تيمه الحب أى عبده وذلك فهو متيم ، ويقال أيضا : تامته
فلانة ، قال لقيط بن زرارمة :

قامت فؤادك لا يحزنك ما صنعت إحدى نساء بنى ذهل بن شيبان

اه (ج ٢ ص ٢٦٦) فقوله : وأصله من قولهم تيممه الحب الخ معناه أن العبد هو الذى ذلله الحب لمعبوده ومحبوبة الأصليين ، فإن كان ذلك غير الله فهو إله الباطل لصرفه الحب الذاتى له ، واستلزام ذلك اعتقاده استحقاق المحبة لذاته ، وإن كان تذله له وانقياده إلى طاعته وحبه له اضطرارياً ، وقد قال فى القاموس (ج ١ ص ٨٥) القيم العبد ، وتامته المرأة والعشق والحب عبده وذله . اه

فأفاد بهذا أن العبادة فى اللغة التى نزل بها القرآن هى تذلل الحب ، ولذلك جعل سبحانه هوى النفس أى مهيوبها ومحبوبها إلهاً لها ، لأن الهوى معناه الحب كما قال فى الصحاح « ج ٢ ص ٥٦٨ » وهوى بالكسر أى أحب ، اه

فثبت بما نقلناه أن من جملة معنى العبادة « المحبة » لأن الله قد شرعها لعباده وأثبتها لنفسه ، وكل ما شرعه فهو عبادة بل هى أساس أنواع العبادات كلها ، لأنها هى التى ينشأ عنها الدل التام والخضوع الكامل ، والتعلق القلبي الذى يجذب العبد إلى محبوبه الأسمى بأقوى جاذب ، ولذلك لا يستحقه أحد غير الله تعالى

وقد أمر تعالى بهذه المحبة بنحو خمسين آية من القرآن وفى ضمنها النهى عن صرفها لغيره تعالى كما يستفاد ذلك من نحو آية (أمر ألا تعبدوا إلا إياه) أى لا تحبوا سواه نهياً شاملاً لجميع أنواع العبادات من التذلل والحب والخوف والرجاء والتوكل والطاعة ،

وامتثال الأوامر واجتناب النواهي

فتحصل من مجموع ما قدمناه أن كل محبوب لذاته لا لله فهو معبود باطل وإلهامبده يجب عليه الإقلاع عن حبه من قلبه ووضع حب الله في قلبه ، لكي يكون العبد صادق الإيمان بمطابقة قوله لقلبه . وحينئذ يجب أن يحب أنبياء الله وأهل طاعته امتثالاً لأمره تعالى بذلك لا لذواتهم ولا لأجل أن يشفعوا له أو يخلصوه من كربات الآخرة بالشفاعة الثابتة ، فإن هذه الشفاعة لا تكون إلا بأمر الله . وأما تخليصه من الكربات فلا ينسب إلى الشفعاء بل إلى الله ومحض جوده وكرمه ورحمته بأسباب أعظمها محبة الله وعبادته وحده

قال الغزالي في الاحياء « ج ٤ ص ٢٥٢ » أما بعد فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعد إدراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها ، وتابع من توابعها ، ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتموية والصبر والزهد وغيرها ، وسائر المقامات ان عز وجودها فلم تخل القلوب عن الايمان بإمكانها ، وأما محبة الله فقد عز الايمان بها ، حتى أنكر العلماء إمكانها اه باختصار

وأقول : يلزم هؤلاء المنكرين من المتكلمين وبعض المفسرين انكار نحو مائة آية دالة على وجوب محبة الله أو تأويلها وتخریفها

بصرفها الى معان باطلة يتبرأ منها العقل واللغة ، كما صنعوا نظير ذلك في آيات الصفات وأحاديثها ، ونزلوها على معان منطقية وفلسفية وعقائد اعتزالية جعلوها عقائد محمدية ، والله حسيبهم على ما صنعوا من هذه الأباطيل

يؤيد ذلك مقاله العلامة صديق حسن خان البخارى فى كتابه «نزل الأبرار ص ٤١» مانصه :

وفى هذه الأحاديث - يعنى أحاديث النزول - دلالة على صفة النزول ، وفى إثباتها كتاب مفرد لشيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه فى مجلد لطيف (١) . والحق الصراح فى مسائل الصفات الواردة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة إجراؤها على ظواهرها بدون تكييف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وعليه درج السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الاربعة المجتهدين وجمهور المحدثين . والتأويل لها وصرفها عن ظواهرها فرع من التكذيب ونوع من الإنكار وقسم من الجحود ، وإن وقع عليه من المتأخرين الجود اه كلامه رحمه الله وجزاه خير الجزاء

(ت) قال تعالى مخاطباً لنبيه محمد (ص) (قل لأملك لنفسى نفعا ولا ضراً الا ما شاء الله) وفى آية أخرى (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) فكيف يملكها غيره صلى الله عليه وسلم

(١) وقد طبع فى مطبعة الامام بمصر سنة ١٩٤٩

ممن هو دونه ؟ أم كيف يقال ان فلانا قطب يتصرف في الملك
والملكوت حياً وميتاً ، أو أنه لا تنزل رحمة ولا يعطي الله عطاء
إلا بواسطته كما زعم ذلك احد المتطفلين على العلم والدين ، المسمى
يوسف النبهاني في عدة مواضع من كتبه المحشوة إطرأاً للنبي
ﷺ دونه اطرأ النصارى لعيسى بن مريم ، حيث قد ترقى به
الغلو فجعله ﷺ هو الحى القيوم الجامع بين الربوبية والعبودية
فمن ذلك ما كتبه على غلاف الرسالة المسماة « طيبة الغراء »
وهذا نصه :

ما أرسل الرحمن أو يرسل من رحمة تصعد أو تنزل
في ملكوت الله أو ملكه الا وطه المصطفى عبده
واسطة فيها وأصل لها

فعد به من كل ما تشكى ولد به من كل ما ترنجى
الى آخر ما هناك من كفر صراح نربأ بالقلم أن يجرى به والله المستعان
ومن ذلك قول القائل في حق النبي ﷺ « وخزائن رحمتك »
ومعناه ما قاله شارحه القامى ص ٢٥١ من قوله :

وهو ﷺ خزائن رحمة الله الموضوعة في العالم ، فلا يرحم
أحد الا على يديه وبما خرج له من خزائنه . ويرحم الله الشيخ
أبا الحسن محمد البكرى الصديق حيث يقول :
ما أرسل الرحمن أو يرسل - الى آخر الأبيات المتقدم ذكرها

ونقلها عن بعض كتب النبهاني مفسراً بها قول ذلك القائل :
« وخزائن رحمتك » ثم قال :

وجمع الخزائن تبعاً لقوله تعالى (قل لو أنتم تعلمون خزائن
رحمة ربي) وقوله (أم عندهم خزائن رحمة ربي) وجمعت في
الآيتين لتنوعها وكثرتها وما فيها من الأموال والأرزاق الحسية
والمعنوية . اهـ

وعلى حسب زعمه الباطل واعتقاده العاقل ، يلزمه في كل
تلاوة الآيتين المذكورتين الافتراء على الله بأنه تعالى يخبر عباده
بأن محمداً ﷺ هو خزائن رحمته الموضوعه في العالم
وحاصل المعنى للآيتين على زعمه أن الله يعلم المشركين بأنهم
لا يملكون ما يملكه محمد (ص) من خزائن رحمته ، وليس عندهم
ما عند محمد (ص) من التصرف برحمة الله المخزونة عنده ، والتي
يرحم بها محمد (ص) من يشاء ويمنعها عن يشاء
وتحقيقاً لهذا المعنى أيده بقرائنه :

فقد به من كل ما تشكى ولد به في كل ما ترجى
وهذه أمور مختصة بالرب وحده حسبما نطقت به الآيات
والأحاديث ، فلا شك أن الله تعالى يمنع رحمته عن معتقد ذلك ،
معاملة له بما يعتقد ، فحيث اعتقد أنه تعالى لا يرحم أحداً إلا
بواسطة محمد (ص) فقد لزمه تكذيب آية (يرحم من يشاء) (وإن
يردك بخير فلا راد لفضله)

ومن جنس هذا الغلو ما ذكره بعض الغلاة في المواهب (ج ١ ص ٢) واصفاً له صلى الله عليه وسلم بصفات الربوبية ، وبما ليس له منها ذرة واحدة حيث قال في حقه عليه السلام « مورد الحقائق الأزلية ومصدرها ، وجامع جوامع مفرداتها . بيت الله المعمور ، مدة مداد نقطة الأكران المفيض من بحر مدد الوفا على القائل حيث خاطب ذاته الأقدسية بالمنح الأنفسية فقال :

فأنت رسول الله أعظم كائن علمات مدار الخلق إذ أنت قطبه
فؤادك بيت الله دار علومه منحت بفيض الفضل كل مفضل
فكل له فضل به منك يفضل

فيامدة الامداد نقطة خطه وياذروة الاطلاق إذ يتسلسل
اه باختصار

ولا ريب أن هذه أوصاف مستحيل أن يتصف بها محمداً وغيره من الخلق ، فمن زعم إمكان ذلك فعليه أن يذكر لنا آية من القرآن أو حديثاً من الكتب الصحيحة يصرح بمنطوق ما أفصح به هؤلاء الغلاة من وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته ، وإن يجدوا إلى ذلك سبيلاً أبداً

ولذلك يلزمهم بسبب وصفهم له بغير صفاته - كما قال القاضي عياض في الشفا - التكذيب به ، ويلزمهم أيضاً اختراع محمد موصوف بهذه الصفات ، وهذا أمر موهوم يحسبونه موجوداً وهو

معدوم مستحيل الوجود ، إذ ظنوا أنه عين الوجود الحقيقي الذي هو في الواقع غير متصف بهذه الصفات ، فيلزم - نظراً للحقيقة - أن يكون محمد الحقيقي معدوماً ، وأن ينسب أسماء محمد الحقيقي وأحواله وسيرته وولادته وشؤونه كلها إلى ذلك المعدوم المخترع .
وتحت هذه النسبة من الجنايات العظيمة مالا يحصى

منها أن يكون إقرارهم بقولهم : أشهد أن محمداً رسول الله - منصرفاً إلى ذلك الموهوم المعدوم ، فيكونون مقرين مؤمنين في كل شهادة بأن هذا المعدوم مرسل من عند الله بدينهم الباطل الذي يعتقدونه دين محمد الحق ، ومرسل أيضاً بدين محمد الحق الذي هو غير دينهم - نظراً للحقيقة التي لا يعتقدونها - فانهم قد صنعوا هم وأمثالهم في حق الله وصفاته نظير ذلك التبديل فيما ورد عن الله فيما يتعلق بشؤون الله وأسمائه وذاته وصفاته سبحانه وأفعاله .
فلزمهم في الله ما لزمهم في النبي محمد ﷺ وأعظم منه بكثير ، ولزم ذلك كله كل من دان بدينهم وإن لم يشعر بذلك كله ، لأن الجهل بذلك لا يكون له عذر بإجماع المجتهدين ، وعلى حسب ما حكم الله به في محكم كتابه ، فعليه أن يتوب المجرم من هؤلاء من جميع ما لزمه من ذلك في سالف عمره

وهذا كله مترتب على كون وصف الشيء بغير صفته يلزم منه أن يكون هذا الشيء غير الذي وصفوه بغير صفته ، وهذا

أمر ضروري قطعي لا شبهة فيه البتة ، كما إذا وصف مالك العبد الأبيض بأن عبده أسود فلا شك ولا ريب أن تبديل وصفه بالأسود يلزم منه أن يكون هذا العبد الأسود الذي أقر مالكه بأنه موجود عنده - وهو في الحقيقة غير موجود - غير العبد الأبيض الموجود عند مالكه ومملوك له في الواقع . وما أوجب هذه الغيرية إلا وصفه بالأسود دون الأبيض ، ولا سيما إذا لم يوجد عنده عبد آخر غير هذا الأبيض ، فإنه حينئذ يلزم جعل ذلك الأسود المعلوم عين ذلك الأبيض الموجود ، ويترتب على هذا الجعل إسناد كل مال ذلك الأبيض من الذات والصفات والأسماء والأفعال إلى ذلك الأسود المعلوم .

وهذه جنائيات واقتراءات مترتبة على تبديل صفة واحدة في حق ذلك المالك للعبد المذكور وحق من صدقه وواقفه على تبديل صفة واحدة ، ومن باب أولى أن يلزم مثل تلك اللوازم ، وتحمل تلك الجنائيات في حق من يبدل صفة محمد ويصفه بصفات الربوبية أو بصفات غير صفاته مما يمنع وصفه بها شرعا وعقلا كما فعل أولئك الغلاة .

قال شيخ الإسلام في منهاج السنة (ج ١ ص ٢٢)
القائلون بهذه الأمور منهم من ينسب إلى أحد هؤلاء ما لا تجوز نسبته إلى أحد من البشر مثل دعوى بعضهم أن الغوث

أو القطب هو الذي يمد أهل الأرض في هداهم ونصرهم ورزقهم ،
وأن هذا لا يصل إلى أحد إلا بواسطة نزوله على ذلك الشخص .
وهذا باطل بإجماع المسلمين ، وهو من جنس قول النصارى في
البابا . وكذلك ما يدعيه بعضهم من أن الواحد من هؤلاء يعلم كل
ولى الله ، ونحو ذلك من المقالات الباطلة التى تتضمن أن الواحد
من البشر يشارك الله فى بعض خصائصه ، مثل أنه بكل شيء عليم
أو على كل شيء قدير ، ونحو ذلك كما يقول بعضهم فى النبي ﷺ
وفى شيوخه أن علم أحدهم ينطبق على علم الله ، وقدرته ، منطبقة على
قدرة الله ، فيعلم ما يعلمه الله ، ويقدر على ما يقدر الله عليه

فهذه المقالات من جنس قول النصارى ، وهى باطلة بإجماع
المسلمين . اه مختصراً .

فهل هذه الأقوال الباطلة وأمثالها الكثيرة إلا تكذيب
للآيتين المتقدم ذكرهما ، ونظائرهما من الآيات الكثيرة والأحاديث
الصحيحة العريضة فى إبطال أمثال هذه الدعاوى الشريكية التى
قاه بها النبهانى وأمثاله ، فنقضوا بها قواعد الدين الإسلامى من
حيث يشعرون أو لا يشعرون

والمعجب المعجب من قوم فى كتابهم تلك الصراحة الواضحة
المستفادة من أمثال الآيات التى مر ذكر بعضها منادية بأعلى صوت
وأجهره بأن محمداً ﷺ - وغيره من المخلوقين بطريق الأولى -
لا يملكون نفعاً ولا ضرراً . ثم يصدمون هذه النصوص القاطعة

بأنواع الصدمات والمناقضات من أمثال ما تقدم نقله عن النبيهاني وغيره من مخترعاتهم السخيفة الباطلة التي يتعالى الله عنها ويتقدس هو وأنبياءه وشرائعهم ثم هم مع هذه الفظائع يزعمون أنهم مؤمنون بالكتاب (تلك أمانيتهم) وما كل ما يتمنى المرء يدركه. قال تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

قال العز ابن عبد السلام في رسالته التي أنكر فيها الأبدال والغوث مانصه : وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من الذسك والعامية مثل الغوث والأوتاد والأقطاب والأبدال والنجباء ، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى ، ولا هي مأثورة عن النبي ﷺ لا بأسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، أما الأبدال فقد روى فيهم حديث شامى منقطع الأسناد ، فنسأل المدعى من كان القطب في زمن آدم ونوح وإبراهيم ، وقبل محمد ﷺ حين كان عامة الناس كفرة

قال تعالى : (ان إبراهيم كان أمة فانتا لله حنيفا) أى كان مؤمنا وحده

وفي صحيح البخارى أنه (أى إبراهيم ﷺ) قال لزوجته سارة : ليس على الأرض اليوم مؤمن غيرى وغيرك . وبأى حديث مشهور فى الكتب الستة وبأى إجماع متواتر من القرون الثلاثة ثبت وجود هؤلاء حتى نعتقده (قل هاتوا برهانكم

إن كنتم صادقين) فان لم يأتوا برهاناً فهم الكاذبون بلا ريب .
وأما الغوث والغياث فلا يستحقه إلا الله تعالى فلا يجوز لأحد
الاستغاثة بغيره تعالى فمن زعم أن أهل الأرض يرفعون حوائجهم
التي يطلبون بها كشف الضر عنهم ونزول الرحمة إلى الثلاثمائة
والثلاثمائة إلى السبعين والسبعون إلى الأربعين والأربعون إلى
السبعة والسبعة إلى الأربعة ، والأربعة إلى الغوث فهو كاذب ضال
مشرك اهـ

وقد زعم ذلك بعض الصوفية من المتأخرين .
ثم قال ص ١٠ من تلك الرسالة : فالغرض أن هذه الأسماء
تارة تفسر بمعنى باطلة بالكتاب والسنة وإجماع السلف مثل
تفسير بعضهم الغوث هو الذي يغيث به أهل الأرض في رزقهم
ونصرهم نظير ما تقول النصراني في البابا وهو معدوم العين والأثر
شبيه بحال المنتظر الذي دخل السرداب من نحو أربعائة وأربعين
سنة اهـ

وكلامه هذا صريح في الحكم على من يعتقد وجود القطب
ونحوه بالشرك والضلال وذلك لأنه من جملة عبدة الطاغوت
قائل بالهين اثنين وإن لم يصرح بذلك بلسانه لأن القطب المزعوم
معناه بمنظر الشرع رب وإله باطل واعتقاد ذلك مبطل لشهادة
أن لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . .

(تص ٦) ما ذكره من النفي والاثبات هو مضمون معنى لا إله إلا الله لأن الإله معناه المعبود باتفاق المفسرين والمعبود مشتق من العبادة فلا جرم يكون معناه داخل في معنى المعبود ، وقد تقدم أن العبادة هي كمال المحبة والخضوع والخوف ، وسوف يأتي عن الرازي أن العبادة هي الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير .

إذا فهم ذلك جيداً علم قطعاً أن المعبود معناه المحبوب الخضوع له المخوف منه الذي تفعل العبادة له لغرض تعظيمه ولأجل كماله وكبريائه وانفراده باستحقاق العبادة لذاته

قال الشيخ اسماعيل حقي في تفسيره روح البیان (ج ١ ص ٢٧٠) تحت قوله تعالى (لا إله إلا هو) والمعنى أنه المستحق للعبادة لا غير .

وقال أيضاً (ج ١ ص ١٢) في تفسير (إياك نعبد) أي نخصك بالعبادة والعبادة غاية الخضوع والتذلل اهـ

ومنه يعلم أن من عبد غيره تعالى بالتعظيم أو المحبة أو نحوهما فقد اتخذ ذلك الغير إلهاً بسبب عبادته له على ما يحكم به الشرع واللغة ، وإن لم ينطق فاعل ذلك يكون ذلك الغير إلهاً قال في الصحاح : إله إلهة عبد عبادة اهـ يريد أن ألهو عبد معناه واحد ومقتضاه أن الشيء الذي علاق العبد عبادته به يكون لامحالة إلهاً ومعبوداً له .

وبدل على ذلك دلالة واضحة قوله تعالى (أرأيت من اتخذ
 إلهه هواه) قال في روح المعاني (ج ٢١ ص ١٩٩) أى أرأيت
 الذى جعل هواه إلهًا لنفسه ثم قال فلا آية شاملة لمن عبد غير الله
 حسب هواه ولمن أطاع الهوى وسائر المعاصى . ثم ساق حديث
 الطبرانى عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « ما نحت ظل
 السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله تعالى من هوى
 متبع » ثم قال ولا يكاد يسلم على هذا من عموم الآية إلا من اتبع
 ما اختاره الله لعباده وشرعه سبحانه لهم فى كل ما يأتى ويندر انتهى
 مختصراً .

فان قيل ان التخلص من عبادة الهوى لاسيما عبادة المال
 وحب الصور الجميلة لا يكاد يتمكن منه أحد ، لأن طبيعة النفوس
 مجبولة على هذه العبادات بأنواعها وإزالة هذه الجبلة حرج
 فى الدين .

أجيب بما قال الحافظ فى الفتح (ج ١١ ص ٢٠١) تحت
 حديث البخارى « لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغنى ثالثاً ،
 ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »
 مانصه : أى أن الله يقبل التوبة من الحريص كما يقبلها من غيره ،
 وفيه إشارة إلى ذم الاستكثار من جمع المال ومعنى ذلك
 والحرص عليه .

قال الطيبي : يمكن أن يكون معناه أن الآدمي مجبول على حب المال وأنه لا يسمع من جمعه إلا من حفظه الله تعالى ووفقه لازالة هذه الجبلية عن نفسه وقايل ما هم ، وان ازالها فممكنة بتوفيق الله وتسيده ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) ففي اضافة الشح الى النفس دلالة على أنه غريزه فيها . وفي قوله (ومن يوق) اشارة الى امكان ازالة ذلك ، ثم رتب الفلاح على ذلك فوقع قوله (ويثوب الله) الخ موقع الاستدراك أى ان ذلك العسر الصعب يمكن أن يكون يسيراً على يسره الله تعالى عليه اه مختصراً

قلت : يؤيد تقرير الطيبي قول النبي ﷺ لما ذك « لقد سألت عن عظيم ، وأنه ليسير على من يسره الله عليه ، وبالله التوفيق .

فان قيل أن الشيخ محمد عبده قد قال في تفسير الفاتحة (ص ٤٠) مانصه : تدل الاساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود لا يعرف منشأها واعتقاده بسلطة له لا يدرك كنهها وماهيتها وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به لكنها فوق ادراكه ، فمن ينتهى الى أقصى الدل للملك من الملوك لا يقال انه عبده وان قبل مواعظ أقدامه مادام سبب الدل والخضوع

معروفاً وهو الخوف من ظلمه المعبود ، والرجاء بكرمه المحدود
اه مختصراً

قلت ان جميع ما ذكره الشيخ في تعريف العبادة من القيود
والشروط وأنه لا يقال لمن انتهى إلى أقصى الذل للملك مخلوق أنه
عنده باطل مردود عليه من قبل أهل اللغة والشرع ، لأننا قد
قدمنا أقوالهم ، ولم يذكر أحد منهم ما أتى به الشيخ من عنده
من تلك القيود التي ما أنزل الله بها من سلطان . الأمر الذي يقضى
بأن الشيخ لم يحقق معنى العبادة لغة وشرعاً فلا يغتر بكلامه هذا
ولا يعبأ به إلا جاهل بالغة والشرع .

(ت) قال الرازي (ج ٧ ص ٢٢٨) قوله (فاعبد الله مخلصاً
له الدين) صريح في أنه يجب الاتيان بالعبادة على سبيل الخلوص
وتأكد هذا بقوله (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)
انتهى .

وقال أيضاً (ج ١ ص ١٨٨) في تفسير (إياك نعبد) العبادة
عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير ، واعلم أن
قولك - إياك نعبد - معناه لا أعبد أحداً سواك اه مختصراً .

فيكون معنى (إياك نعبد) لا أفعل فعلاً دينياً لغرض تعظيم
غير الله ، وعليه فتى كان غرضه من العبادة غرضاً آخر غير
إجلاله تعالى لم تكن هذه العبادة بهذا القصد عبادة لله تعالى ،

بل تكون بحكم الشرع عبادة لذلك الغرض الذي بعثه على هذه العبادة ، فيلزمه الكذب الصريح في قوله (إياك نعبد) في هذه الحالة ، وفي اعتقاده أن الله يقبل هذه العبادة التي يكذب فيها صاحبها في خطابه لربه ، وذلك من أعظم الجنايات

وقد جاء في الحديث « ان الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد كما في الترغيب (ج ١ ص ٩)

قال شيخ الاسلام : تواترت الأحاديث بأنه يحرم على النار من قال لا إله إلا الله . ومن شهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله لكن جاءت مقيدة بالاخلاص واليقين والموت عليها وكما هي مقيدة بالقيود والاثقال وأكثر من يقولها لا يعرف الاخلاص ولا اليقين وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء بأمثالهم ، وهم أقرب الناس من قوله تعالى حاكياً عن المشركين (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث فإنه إذا قلها باخلاص ويقين ومات على ذلك امتنع أن تكون سيئاته راجعة على حسناته ، بل كانت حسناته راجعة فيحرم على النار ، لأنه إذا قلها باخلاص ويقين تام لم يكن في هذا الحال مصراً على ذنب ، فإن كمال الاخلاص وبقينه موجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء سواه ، وأخوف عنده من كل

شيء ، فلا يبقى في قلبه يومئذ إرادة لما حرمه الله ، ولا كراهة لما أمر الله ، فهذا هو الذي يحرم على النار وان كان له ذنوب قبل ذلك فهذا الإيمان وهذه التوبة وهذا الاخلاص وهذه المحبة ، وهذا اليقين والكراهة لا يترك له ذنباً إلا محي عنه كما يحق النهار الليل فمن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلاً فيغفر له ويحرم على النار ، وان قالها على وجه خلص به من الشرك الاكبر دون الاصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنات لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة اهـ

قال الرازي (ج ٧ ص ٢٢٨) وأما بيان الوجوه المنافية للاخلاص فهي الوجود الداعية للشريك وهي أقسام (أحدها) أن يكون للرباء والسمعة فيه دخل

(تصد) قال الرازي في تفسيره (ج ص ١٩٥) العبادة لها ثلاث درجات (الاولى) أن يعبد الله طمعا في الثواب أو هرباً من العقاب وهذه الدرجة نازلة ساقطة جداً لأن معبوده في الحقيقة هو ذلك الثواب وقد جعل الحق وسيلة إلى نيل المطلوب ، ومن جعل المطلوب بالذات شيئاً من أحوال الخلق وجعل الحق وسيلة إليه فهو خسيس جداً (الثانية) أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته أو بقبول تكاليفه ، أو بالانتساب إليه ، وهذه الدرجة أعلى إلا أنها

ليست كاملة لأن المقصود بالذات غير الله تعالى
 (الثالثة) أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً وليكونه عبداً له
 والالهية توجب الهيبة والعزة ، والعبودية توجب الخضوع والذلة
 وهذا هو المسيحي بالعبودية وإليه الإشارة بقول المصلي (أصلي لله)
 فإنه لو قال أصلي لثواب الله أولاً هرب من عتابه فسدت صلاته
 اهـ ملخصاً

(قلت) وكذلك تفسد صلاته وجميع عباداته فيما إذا قصد
 بها التخلص من البليات والحن في الدنيا والآخرة أو للحصول على
 خيراتها بما بحيث يكون الباعث الأصلي له على العبادة هو التخلص
 أو الحصول المذكورين والمقصودين بالذات ، ويكون أداء حق الرب
 بالتبع ، ولو قال مع ذلك القصد بلباسه نويت أصلي أو أعبد له ، لأن
 العبادة عند الله بالنيات والمقاصد كما يفيد حديث « إنما الاعمال
 بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » ولأنه قد انحرف في سلك
 الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم حيث زعم بقوله (أصلي
 لله) أن عبادته من قبيل الدرجة الثالثة الآتية الذكر ، وهي في
 الحقيقة من قبيل الدرجة الأولى النازلة الساقطة

ولا ينافي ما ذكره الرازي مشروعية الخوف من العقاب والطمع
 في الجنة وسؤال العبد في أدعيته الجنة والنجاة من النار ، لأن
 كلامه ليس في هذا المتفق على مشروعيته والتكليف به كتاباً
 وسنة وإجماعاً ، وإنما المقصود أن لا تكون عبادته معلولة بذلك

بأن لا يكون قصده الأصلي منها الفوز بالجنة مثلاً ، لأن العبادة حق الله على العباد كما صرح به النبي ﷺ في حديث معاذ بقوله ﷺ « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » فكانت بمنزلة الدين ودين الله أحق بالوفاء من دين خلقه كما قال النبي ﷺ في حديث البخاري « فدين الله أحق بالقضاء » وهذا صريح في كون النبي ﷺ جعل عبادة الحج ديناً على عباده ، وكذلك غيرها من العبادات إذ لا فرق

وكما لا يجوز لمن أراد وفاء دين مخلوق أن يقول له أوفيك هذا الدين لأجل أن تكرمني أو تدفع عني بلاء تقدر على دفعه ، فكذلك لا يجوز للعبد أن يقول لربه ذلك أو نحوه أو ينوى معناه بقلبه ، وهذا تقريب للمعقول القاصرة ، وأما أدلة الحكم المذكور فمتوفرة في الكتاب والسنة فليرجع إليهما

(ت ص ٦) استدلال المصنف على هذا الحكم بآية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً) هو الذي يقتضيه كلام البغوي وغيره من المفسرين . قال البغوي في تفسيره (ج ١ ص ١١٦) « أنداداً أي أصناماً (يحبونهم كحب الله) أي يحبون آلهم كحب المؤمنين الله وقال الزجاج يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله ، فدوا بين الله وبين أولئهم في المحبة (والذين آمنوا أشد حبا لله) قال أي أثبت وأدوم على حبة من المشركين ، لأنهم لا يختارون على الله ماسواً ، انتهى ملخصاً

قال في الكافية :

والشرك فهو توسل مقصوده الز
بعبادة المخلوق من حجر ومن
والشرك فاحذره فشرک ظاهر
وهو اتخاذ الند الرحمن أي
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه
وقال في الاقناع قال شيخ الاسلام : من دعا عليا بن أبي طالب
فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، وقال أيضا من جعل بينه
وبين الله وسائط يدعوه ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً اه
قال الجوهرى في الصحاح (ج ١ ص ٢٢٣) والند بالكسر
المثل والنظير

قال في تفسير الجلالين (أنداداً) شركاء في العبادة اه

ج ١ ص ١٤

قال الحافظ المسقلاني في شرح النخبة (ص ٤٦) والتشبيه
لا يشترط فيه المساواة من كل جهة اه
قال القنوي في تفسير آية (ومن الناس من يتخذ من دون
الله أنداداً) في حاشية البيضاوى (ج ٢ ص ٣٢١) ان التشبيه
في أصل المحبة ولأن جملة — يحبونهم — استثناف في معنى التاميل
لاتخاذهم الأنداد لله تعالى ، والصريح في الآية تسويتهم إياه تعالى
في المحبة والطاعة اه باختصار

أقول قد اتفق علماء اللغة والتفسير على أن الند هو المثل ،
ومنه يعلم بطلان ما فسر به البيضاوى الند بالمساوى فى الذات
والصفات ، ولعل ذلك ناشئ من توهم أن المائلة تقتضى المساواة
بين المثليين من كل وجه ، وقد أبطل الحافظ هذا التوهم بقوله المتقدم
ومأقاله الحافظ هو الحق الذى لا يصح غيره ، والأداة عليه كثيرة
ومأقاله القنوى من أن التشبيه هو فى أصل المحبة فهو الذى صححه
القرطبي حيث قال فى تفسيره (ج ١ ص ٢٠٤) وقال ابن كيسان
والزجاج معنى (يحبونهم - كحب الله) أى يـوون بين الأصنام
وبين الله تعالى فى المحبة قال أبو اسحاق وهذا القول الصحيح قال
القرطبي والدليل على صحته آية (والذين آمنوا أشد حبا لله) اهـ
وعلى هذا يستفاد مما قالوه فى تفسير هذه الآية الحكم على أن
كل من تساوى حبه للخلق بالذات مع حب الله تعالى فقد اتخذ
ذلك الخلق نداً بإشراكه له مع الله فى المحبة فعلاً ، والعبادة
والتعظيم لزوماً وحكمه الخلود فى النار ، يؤيد هذا ما نقله شيخ زادة
وأقره فى حاشية البيضاوى (ج ١ ص ٤٧٥) حيث قال كل شىء
شغلت به قلبك سوى الله تعالى فقد جعلته فى قلبك نداً لله تعالى
ويدل عليه قوله تعالى (أفرايت من اتخذ إلهه هواه)

نداء
عبد لله

روى مسلم فى صحيحه عن أبى مالك الأشجعى عن أبيه عن
النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من
دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » قال الشيخ عبد الرحمن

ابن حسن قال شيعتنا رحمه الله تعالى : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها غاصاً للمال والدم بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الاقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده حتى يضيف إلى ذلك — الكفر — بما يعبد من دون الله فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه اهـ

وإنما لم يحرم ماله لكونه لم يدخل في دين الاسلام بدون أن يكفر بما يعبد من دون الله ، بل يبقى كافراً في نظر الشرع ، وإن شهد الشهادتين وحسب نفسه مسلماً ، ولا عبرة بهذا الحسبان

قال محمد الامير الصنعاني في رسالته (تطهير الاعتقاد) ثم ان رأس العبادة وأساسها التوحيد لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل وهو لا إله إلا الله والمراد اعتقاد معناها لا مجرد التلفظ بها باللسان وإثبات الالهية والنفي والبراءة من كل معبود دونه تعالى وقد علم الكفار هذا المعنى لأنهم أهل اللسان السربي فقالوا (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب) اهـ

قلت : وأما جهالة المسلمين فلم يعلموا معنى كلمة الشهادة ، ولذلك وقعوا في أنواع من الشرك والكفر وناقضوا — لا إله إلا الله — بفعلهم وعقائدهم وهم لا يشعرون بذلك ، لعدم علمهم بشيء من عقائدهم حتى أنهم لا يعلمون أن معنى — أشهد — أعلم وأتيقن قال المناوي في فيض القدير (ج ١ ص ٣٥٧) فإن الشهادة

قول صدر عن مواطاة القلب اللسان على سبيل القطع ، ذكره
الطبي انتهى

(تص ٧) قال في روح البيان (ج ١ ص ٥٢) أنداداً جمع ندأى
أمثالا تعبدونهم كعبادة الله اهـ

قال الشوكاني في تفسيره (ج ١ ص ٣٨) والأنداد جمع ند
وهو المثل والنظير ، قال في القاموس (ج ١ ص ٢٤١) الند
بالكسر المثل ولم يذكر له غير هذا المعنى . قال في المختار : الند
المثل والنظير

قال الزمخشري : والند المثل ، ولقد أخطأ الزمخشري في قوله
ولا يقال إلا للمثل المخالف المنادى ، وذلك لأن قوله هذا مخالف
لما نقلناه عن القاموس والصحاح وغيرهما من المفسرين

(تص ٧) أخرج مسلم في صحيحه (ج ٧ ص ٣٨) عن أبي هريرة
الغزوي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تصلوا إلى القبور
ولا تجلسوا عليها ، قال شارحه النووي : فيه تصريح بالنهاي عن
الصلاة الى قبر

قال : قال الشافعي رحمه الله : وأكره أن يعظم مخلوق حتى
يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس اهـ
قال الحافظ في الفتح (ج ٣ ص ١٣٠) قال ابن رشيد : الاتخاذ أعم
من البناء اهـ أي فيشمل النهي عن اتخاذ القبور مساجد الصلاة
عندها وكل عمل فيه تعظيم لها أو تبرك بها

ووجه كون ذلك من قبيل اتخاذ الانداد لله إشراك التماثيل المنصوبة على القبور وعلى أصحابها بالتعظيم والتذلل لهم والاعتماد والتوكل عليهم ، ونحو ذلك من الأمور التي لا يجوز صرفها لغير الله تعالى

قال النووي في شرح مسلم (ج ١١ ص ١٠٥) وحقيقة العظمة مختصة بالله تعالى فلا يضاهى بها غيره اهـ يشير بقوله هذا إلى أنه يلزم من تعظيم المخلوق حياً وميتاً إلى أنه يكون ذلك المخلوق المعظم شبيهاً بالله في استحقاقه التعظيم وفي معاملته بالتعظيم فـ... لا ، وهذا بعينه هو معنى اتخاذ ذلك المعظم من دون الله نداً لله ، وذلك لتحقيق المضاهاة أى المماثلة للمخلوق مع الله في التعظيم والحب ونحوهما (ت ص ٧) قال النووي في شرح مسلم (ج ٣ ص ١٧٧) من هامش القسطلانى قال العلماء : انما نهى النبي ﷺ عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفاً من المبالغة في تعظيمه والافتتان به ، وربما أدى ذلك إلى الكفر ، كما جرى لكثير من الأمم الخالية ، ولما احتاجت الصحابة رضى الله عنهم والتابعون إلى زيادة في مجد رسول الله ﷺ حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضى الله عنها بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة أثلاً يظهر في المسجد فيصلى إليه العوام ويؤدى إلى المحذور ثم بنوا جدارين انتهى كلامه

(ت) قال في الدر المختار (ج ٥ ص ٣٧٨) وكذا ما يفعلونه

من تقبيل الارض بين يدي العلماء والعظماء فحرام والفاعل والراضى به آثمان لانه يشبه عبادة الوثن ، وهل يكفر ؟ فالجواب . إن كان على وجه العبادة والتعظيم كفر وإن كان على وجه التحية . لا . أى أى لا يكفر ، وصار آثما مرتكباً للكبيرة

وفي الملتقط : التواضع لغير الله حرام ، قال محشيه ابن عابدين الحنفى ، وقال شمس الأئمة إن كان لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر . وفي الزاهد الايماء فى السلام إلى قريب الركوع كالسجود وفي المحيط انه يكره الانحناء للمطان وغيره اهـ

قلت ولان القيام للقيام يشبه عبادة الوثن كرهه النبي ﷺ كما فى الحديث الذى صححه الترمذى ولفظه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته ﷺ لذلك انتهى

وكل مازعمه المجوزون دليلاً لجواز القيام للقيام فلا يصح التمسك به كما أوضحه صاحب المدخل ونقض جميع أدلتهم التى احتجوا بها على ذلك فى كتابه المدخل ، وأقوى ما تمسكوا به حديث « قوموا لسيدكم » وقد أجاب عنه بأنه حديث مطلق قيده حديث آخر بلفظ « قوموا الى سيدكم فأنزلوه » وذلك لأن المراد بالسيد المذكور — سعد بن معاذ — وقد كان مريضاً حين بعث النبي ﷺ يطلب احضاره ليحكم على أهالى خيبر فجاء بتلك الحالة

راكباً على دابته فأمر النبي ﷺ قومه الانصار لأجل أن ينزلوه
من فوق دابته

وعليه فقد سقط الاستدلال به طبقاً لأصول الحنفية
والشافعية وغيرهم

قال في الدر المختار (ج ٢ ص ٣٢٦ طبع الهند) ولوسلم على
الذمي تبجيلاً يكفر لأن تبجيل الكافر كفر ، ولو قال لجوسي :
يا أستاذ تبجيلاً كفر كما في الأشباه ١ هـ

فإذا كان هذا القدر من التعظيم لمخلوق كفرأً عند علماء الحنفية
وإن شهد فاعله بلسانه أن لا اله الا الله وصام وصلى وأدى جميع
فرائض الاسلام فكيف لا يكفر من عظم الاموات والصناديق
المصورة بصورها والموضوعة على القبور بأرقى مراتب التعظيم ،
وتعبد لها بأنواع العبادات ، ونسب اليها مالا تصح نسبتها الا الى
رب السموات ، وذلك مثل نسبتها التصرف في الكون ، وعلم
الغيب والقدرة على شفاء المرضى ، الى الرفاعي والجيلي ونحوهما

واليك قطرة من بحار غزيرة قال في كتاب قلادة الجواهر
(ص ١٩٠) قال الشيخ عمر الفاروئي كنت ذات يوم عند السيد
أحمد الرفاعي فأجربنا حديث الأئم الماضيه والقرون السالفة فقلت
أي سيدي عند المفسرين الأئم كلها ثمانون ألف أمة فقال أي عمر
صدقوا ذلك مبلغهم من العلم أي عمر ، انما هي علوم وصلوا اليها
وعلم لم يصلوا اليها لقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك الا هو)

أى عمر ، إنما هي ثمانمائة ألف يا كاون ويشربون وينكحون
ولا يكون الرجل رجلاً حتى يعرفهم ويعرف صورهم وكلامهم وصفاتهم
ومقاماتهم ، وأرزاقهم وآجالهم ، وذرائعهم ، وشقيهم وسعيدهم ،
ذكرهم وأنثاهم ، حرمهم وعبيدهم . قال : فلما سمعنا كلامه أبهر عقولنا
وتعجب الشيخ يعقوب وقال له : أى شيخنا إيش هذا الأمر العظيم
الذى لا تحمله المرائر ولا تجوزه الخواطر

فقال له : أى يعقوب أزيدك شيئاً آخر . لا تستقر نطفة ذكر
في محل الأرحام منهم إلا ينظرها ذلك الرجل . فزاد تعجبه وقال
أى شيخنا هذا رب آخر . فقال تأدب أى يعقوب واستغفر ربك
إنما يصير — أى ذلك الرجل الآن الذى ذكر — صفة من صفات
الله جل جلاله ، والحق لا يعجزه شيء . وكم من وراء ذلك أمور
لا يعلمها إلا الله تعالى . اه مختصراً

قلت : وهل يمكن أن يكون بين أ كفر الكفار من يتكلم بما
يكذب القرآن العظيم وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم كما كذبهما
هذا الدعى الثرثار صاحب هذا القول الهراء

قال فى شرح ملتقى الأبحر ومجمع الأنهر (ج ١ ص ٦٩٩) ومن
ادعى الغيب لنفسه يكفر حتى يؤمر بتجديد النكاح فى قول المرأة
« نعم » فى جواب : أتعلمين الغيب ؟ ويكفر بقوله : أرواح المشايخ
حاضرة تعلم ، وبإتيان الكاهن وتصديقه . وبقوله أنا أعلم المروقات
وبقوله أنا أخبر عن إخبار الجن إياى . فان قال هذا فهو ساحر كاهن

وَمَنْ ضَدَّقَهُ فَقَدْ كَفَرَ ، وباعتقاده ... أى يكفر باعتقاده أن الملك يعلم الغيب . اه ملخصا

ومع هذا التخصيص من علماء المذاهب على تكفير مدعي الغيب ونحوه مما تقدم فقد ادعى كثير من المنتسبين إلى المذاهب وإلى الإيمان بحديث « خمس لا يعلمهن إلا الله » وآية (إن الله عنده علم الساعة) إمكان علم هذه الخمس لغير الله كما صرح به الشعرائى فى كتابه المفن مع تصريحه بأن مذهبه موزون بميزان الشرع فى أول كتابه (العود)

وكل هذه المناقضات لما فى كتاب الله وسنة رسوله وأمثالها يجعلونها من قبيل العلم اللدنى والإلهام . وقد كذب رسول الله (ص) هذا العلم وهذا الإلهام الهادم لدين الاسلام من أصله حيث يقول صلوات الله عليه « إنما العلم بالتعلم » وقد تقدم فى أول الكتاب نقلنا له عن صحيح البخارى فى باب « العلم قبل القول والعمل » وتقدم أن الحافظ قال إنه حديث مرفوع إسناداه حسن . وبين بعناه بقوله : والمعنى : ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء على سبيل التعلم اه أى ان العلم المعتبر فى الشرع ليس إلا العلم المأخوذ بمثل العدول من محمد (ص) ومن الأنبياء قبله على سبيل التعلم من الآيات القرآنية والكتب المنزلة والاحاديث النبوية .

فهذا الحديث نص صريح من النبى «ص» بإبطال علوم الصوفية

التي يزعمون أنهم كوشفوا بها بوحى أو إلهام أو ذوق أو وجدان، وبإلقاء اعتبار قواعد المنطق والفلسفة، والكلام، وعقائدهم ومقولاتهم، فانها غير مأخوذة من محمد صلوات الله عليه حتى لفظ الايمان بالبعث والنشور والجنة والنار والملائكة والجن والانس، وجميع الموجودات، وذلك لانهم حرفوا هذه الكلمات عن مواضعها ومعانيها، فان بعضهم زعم أن الايمان هو التصديق المنطقي وانه كيفية من كفيات النفس لا يدخل تحت اختيارها، بعد أن زعم بعضهم ان معناه إذعان النفس وقبولها، وأنه وما تعلق به من البعث ونحوه الى آخر ما ذكرنا - جميع ذلك صور ذهنية وكميات وجزئيات وتصورات وتصديقات.

وزعموا أيضا أن العقل غير مدرك بنفسه للجزئيات - بعد اعترافهم أنه لا يوجد في الخارج إلا الجزئيات المتكونة من الكميات بانضمام الشخصات اليها. فكان حاصل كلامهم أن الخالق والمخلوق والدنيا والآخرة وما فيها حقائدها كلية هي أجناس مترتبة، بعضها على وبعضها سافل وبعضها متوسطة، لا وجود لها في الخارج، فتكون معدومة فيه لا محالة على زعمهم. ثم مع كونها معدومة ينضم إلى هذه المعدومات المنحصر وجودها في أذهانهم مشخصات تجعلها جزئيات موجودة في الخارج. وهذا مع كونه محالاً مناقض لانحصارها في الذهن ومستلزم لأن يكون المعدوم في الخارج موجوداً

فيه في حالة عدمه . إلى غير ذلك من أمثال هذه المناقضات
والسمخافات التي جعلوها مدلول الآيات والأحاديث ، وعين الموجودات
ومعاني لغوية منقولة عن العرب مما يرجع حقيقة إلى مذهب وحدة
الوجود التي تجعل الخالق والمخلوق والعابد والمعبود والعبادة ، وكل
شيء كان ويكون وهو كائن ، كل ذلك إلهاً وحقاً ورباً أزلياً
أبدياً ، هذا ونحوه هو الذي يسمونه علم المكاشفة وعلم الذوق ،
وعلم الإلهام وعلم التنزيلات الإلهية

هذا هو الذي أجهدوا لأجل التحقق به نفوسهم وبذلوا جهدهم
في نشره وتعميمه في عقائدهم وأحزابهم ، وتناقله المغرورون به
وبأصحابه ، حتى ذكر بعضهم قسماً منه في تفسيره كالبيضاوي
والكازروني وشيخ زادة في تعليقهما عليه في حواشي البيضاوي
عند كلامهم على آية (إياك نعبد وإياك نستعين) وذكره بعضهم في
شرح بعض الأحاديث كالتفتازاني في شرح الأربعين
ومعلوم بالطريق القطعي أن جميع ذلك ليس مأخوذاً من محمد
(ص) ولا هو مدلول « وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه » بل
المدلول لهذه الآية وأمثالها ، والمأخوذ من محمد (ص) غير ذلك كله
من كل وجه .

وقد ثبت لدينا بالأداة القاطعة ، وبعد تتبع ما ذكرنا من تلك
العقائد والقواعد الضالة المضلة أن ما زعمه أرباب تلك العقائد علماء

وديناً إسلامياً مأخوذاً من محمد صلى الله عليه وسلم كذب باطل ،
وتفجير للجهلة . بل عقائدهم المذكورة مما تنزلت به الشياطين
عليهم فتكون لا محالة داخلية مدلول سبل الضلال الصادقة والمفرقة
عن سبيل الله الحق ، وهي التي نهى الله عنها بقوله (ولا تتبعوا
السبل فتفرق بكم عن سبيله)

يؤيد ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤخذ عنه ما قاله
القاشاني في أول صفحة من شرح التائية : ان الله خلق العالم مرآة
مجلوة فشاهد عينه فيها عياناً تجلى بذاته في مرايا الصفات وبصفاته
في مظاهر المكونات اه باختصار

فمن زعم أن شيئاً من هذا وأمثاله أو شيئاً مما ذكره ابن الفارض
في التائية والديوان وشروحهما ، أو شيئاً مما ذكر ابن عربي في
كتبه ، أو شيئاً مما ذكره المناطقة في كتبهم أو شيئاً من معاني عقائد
المتكلمين فيما يتعلق بالله وصفاته وأفعاله ، وشهادة أن لا إله إلا الله ،
من زعم شيئاً من جميع ذلك منقولاً عن الله ورسوله نقلاً صريحاً تدل
عليه آية أو حديث صحيح دلالة صحيحة عربية غير مبدلة ولا
محرفة ولا مؤولة ، فليذكر ذلك ، وأنئى له به ودون ذلك خرط
القتاد . ولو أنه طاف مشارق الأرض ومغاربها ، ولقى ما هنالك
من العلماء ، واطلع على ما دونته العلماء من السلف وأهل الحديث
في تفاسيرهم وكتب الحديث قاطبه وجميع كتب اللغة العربية ، لم

يمكن أن يظفر بما طلبناه منه من ذلك أبداً
 كيف ولو أمكن — لا سمح الله — لأصبح الدين الحق الذي
 هو غير دينهم ، ديناً فلسفياً باطنياً إلحادياً موافقاً لدين وعقائد
 أرسطو وأفلاطون وابن سينا ، وملاحدة بعض أهل الهند كتاغور
 الملحد المنتحل بنحلة الدين اللعين ، ألا وهو دين وحدة الوجود ،
 وما أدراك ما وحدة الوجود . وأقل ما فيها أن زعيمها ومشيد
 أركانها ابن عربي يقول في آخر فصوصه :

فالضمير في قوله تعالى « بحمده » يعود على الشيء أى المذكور
 في قوله سبحانه (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ولذلك فسر
 هذه الآية بقوله الاتحادي مانصه : أى بحمد ذلك الشيء . اهـ
 وقد صرح في كتابه هذا وغيره من كتبه التى هدمت دين
 الاسلام بعبارة لا تحتمل التأويل : أن كل شيء هو الله — تعالى
 الله عن ذلك علواً كبيراً

ولذلك رتب على ذلك لوازمه بأن كل شيء حتى الكلاب
 والخنازير يسبح نفسه وبحمدها . فهل يمكن لعاقل أن يزعم أن ديناً
 كهذا وأمثاله يمكن أن يأتي من عند الله ؟ كلا والذي تنزه أزلاً
 وأبداً عن هذا الدين اللعين

لا يمكن أن يأتي ذلك الدين إلا من قبل إبليس اللعين ،
 وإذا كان كذلك فلا بد من موافقتنا على جميع ما ذكرناه ، وعلى من

نور طفي اعتقاد تلك العقائد أو الخوض فيها على ظن أنها أديان
 صحيحة إسلامية أن يعلم أنه لا يمكن أن تصح توبته وشهادته إذا
 أراد أن يرجع عنها إلا بعد أن يتصفح كتبها ويكذب جميع ما فيها
 وينزه دين الاسلام ورب المسلمين وأنبياء الاسلام وعقيدتهم
 وعملهم وشهادتهم عنها ، لأنه اذا شهد شهادة الاسلام أو حمد الله
 أو قرأ القرآن قبل أن يكذب المعاني الالحادية ينصرف جميع
 ذلك إلى تلك المعاني الالحادية ، لأنه اعتقدها معاني للآيات
 ونحوها ، فيجازى بذلك على عمله هذا واعتقاده المذكور ولا بد ،
 ويلزمه أن يعمل غير هذا مما يطول شرحه

ولا يكفي ذلك لصحة إيمانه ، بل لا بد أن يعمل أعمالا لا يتسع
 المقام لبسطها وأهمها أن يجهد نفسه بكليته في تعلم المعاني الصحيحة
 للكلمات العربية والقرآنية والنبوية ، ولا سيما معنى الشهادتين ،
 ومعنى كلمة الله والكلمات المتعلقة بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والمتعلقة
 بأسماء أنبيائه وحقائهم ومتعلقاتهم ، والمتعلقة بكلمة إيمان وإسلام
 ونحوها ولا يعتمد على أخذ ذلك إلا من أصل اللغة من نحو كتاب
 الصحاح للجوهري وكتاب تفسير ابن جرير وابن كثير ، وكتب
 الحديث الستة وأمثالها

ولنا كيد أن الايمان الصحيح والدين الصحيح غير ما ذكره
 أولئك الذين نقلنا عنهم بعض ضلالتهم ، ننقل بحثا في الايمان
 من المحققين يظهر به أن دين الاسلام بمعزل عن تلك الأديان ، وعن

دين الجاهلية الذي يزعم أهله أن مجرد التلفظ بالشهادتين وألفاظ
لايمان بغير معرفة معانيها ولا عمل بمقاصدها ، كاف في الدخول في
دين الاسلام ، وعليه فنقول :

قال في فتح البيان (ج ١ ص ٤٠) عند قوله تعالى (الذين
يؤمنون بالغيب) مانصه أصل الايمان في اللغة التصديق ، قال تعالى
(وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق ، والغيب في كلام العرب
ماغاب عنك . وذكر أقوالا بمعنى الغيب ثم قال :

وقال آخرون : والغيب كل ما أخبر به الرسل بما لا تهتدى
إليه العقول من أشراط الساعة ، وعذاب القبر ، والحشر والنشر
والصراط والميزان ، والجنة والنار ، قال ابن عطية : وهذه
الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها ، وهذا هو الايمان
الشرعي المشار إليه في حديث جبريل حين قال للنبي صلى الله عليه
وسلم « فأخبرني عن الايمان » قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت « اهـ
قال ابن جرير : والأولى أن يكونوا موصوفين بالايمان بالغيب
قولا واعتقاداً وعملاً ، وتدخل الخشية لله في معنى الايمان الذي
هو تصديق القول بالعمل

والايمان كلمة جامعة للاقرار بالله وكتبه ورسله ، وتصديق
الاقرار بالفعل

وقال ابن كثير : ان الايمان الشرعي المطلوب لا يكون

إلا اعتقاداً وقولاً وعملاً، هكذا ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغير واحد إجماعاً: أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وقد ورد فيه آثار كثيرة أهم وحاصل ما ذكره هؤلاء العلماء أن معنى الإيمان الشرعي تصديق القلب بما ذكره واعتقاده لذلك أي عزم القلب على حفظ ما صدق به بقلبه، وجريان أعمال العبد وابتدائها على مقتضى التصديق والعزم المذكورين، ومن أنصف نفسه وترك خداعها ولم يلتفت إلى مغالطتها ولم يركن إلى تلبيساتها علم بما ذكرنا أن قول العوام أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله من غير علم منهم وإدراك بما يراد شرعاً من ألفاظ الإيمان والشهادة، وما يتعلق بها من كلمة الله والرسول والكتب ليس تصديقاً بالقلب: لا بالقول ولا بالعمل، لأن الإيمان بالقول هو القول المعبر عن تصديق ثابت فيه أي في القلب حتى يكون إيماناً قولياً، أما إذا لم يكن تصديقاً بالقلب فكيف يكون معبراً عن تصديق غير موجود، إذ لا تصديق هناك ولا علم عند ذلك الشخص لأنه يتكلم بما لا يدري ويتعبد بألفاظ مهمة في زعمه واعتقاده فلا جرم تكون كلمات إيمانه وشهادته بمنزلة الكلمات المهمة عن المعاني مثل كلمة (جسق) .. (بسق).

هذا حقيقة أمر هذا الجاهل الذي حملته سكرة حب الدنيا على إهانة شهادة الإسلام ومحوها إلى هذا الحد، فما يكون جزاءه يوم

القيامة وبأى وجه يلاقى ربه وقد أهان دينه وتلاعب به وجعله
كلمات مهمة ورتب عليه أحكام دين الإسلام الصحيح مثل جزاء
الله له على هذا الدين الذى هو من أبطل الأديان بالجنة والفوز
والسعادة العظمى . فما أعظم افتراؤه على الله بذلك ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله على هذه المصيبة العظمى

وقال فى حاشية الدر النضيد من مجموعة الحفيد (ص ٦٩)
وزعموا أن هؤلاء الأموات تصرفات روحية بعد مماتهم مثل
تصرفاتهم الجسمية فى حياتهم ، وزاد قوم فزعموا — افتراءً على
الله وعليهم — أن الله قد وكل إليهم تدبير العالم ، والتصرف فيه
برغبتهم ومشيتهم لا برغبته ومشيته فنذروا لهم النذور ، وقربوا
لهم القرابين وسألوهم ما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ، مثل الرزق
وشفاء الأمراض ونحو ذلك ؛ وخافوهم أشد الخوف ، وفوق
ما يخافون من الله ، فترى الواحد من هؤلاء يهمل فريضة الحج
التي افترضه رب العزة عليه فلا يؤديها طول حياته مع غاية التمكن
منها والقدرة عليها ، ولا يتأخر عن زيارة الولي في الوقت الذي
اعتاد الناس زيارته فيه ، أو الوقت الذي جعل على نفسه زيارته
فيه ، وإذا فاته ذلك لما منع من مرض أو غيره مما يباح معه ترك
الحج تألم وعض على أصابعه ندماً ، ثم كل ما يناله من الشرور بعد
ذلك أضافه إلى غضب المقبور عليه لتأخره عن زيارته
ونرى الآخر من هؤلاء الحق يعطل فريضة الزكاة فلا يؤديها

وهو على سعة تامة ، وبسط في المعيشة كامل ويبسط يديه بالنذور
للأموات ، وذبح الذبائح لهم ، وإنفاق الأموال الكثيرة في زيارتهم
فإن فاته ذلك ولوسهواً بادر بتقديم أضعافه لهم خيفة منهم على نفسه
وأهله وماله ، ولا يبالي من رب العزة ولا يحسب له حساباً

هذا - ولولا أن أصحاب هذه المعتقدات الباطلة بين
ظهرانينا لم نصدق أن مسلماً يقول مثل هذا القول والأمر لله
ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انتهى كلامه

قلت ومما نشاهده بين ظهرانينا التعبد بأن حقيقة محمد (ص)
حاء الرحمة وميم الملك ودال الدوام ، وأن هذه الحروف الثلاثة
من الكلمات الثلاث نور الذات ، أي نور ذات الله ، والسر
السرى في أسماء الله وصفاته ، وأن تلك الحروف هي قبلة لقضاء
حوائج الخلق ، وأنها ظاهرة بصورة الله ومستوى لتجليه إلى
ما هنالك من أمثال هذا الكذب في ذلك الكتاب المنتشر المعلوم
الذي لا يكاد يخفى على أكثر المتعبدين به وبأمثاله ، والذي فيه :
يا من هو لا هو إلا هو ، الذي حقيقته مذهب وحدة الوجود كما قد
أطبق الشراح كما سيأتى على تفسير هذه الكلمات بوحدة الوجود
قال في نزل الأبرار (ص ١٦٦) فهذه الزيادات التي جاء بها
جمع من العلماء والمشايخ ألفوا فيها كتباً كدلائل الخيرات وشفاء
السقام وغيرها ، وابتدعوا للصلاة صيغة كثيرة اشتملت على
إطراء وإغراق وألفاظ لم ترد في سنة ، وعبارات لم تجيء من

من الجاهلية

رسول الله (ص) كلها من هذا الوادي أى من وادي البدع
والمنكرات العظام

ثم قال: ولهذا ألقى السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير قدس
الله روحه بأحراق الدلائل ، وليس فيما ثبت في السنة المطهرة
تفريط ، اهـ

ومع أن الحال كما ذكر ترى أكثر الذين يزعمون
أنفسهم علماء يرضون بملك الأحزاب والصيغ المتدعة ، ويميزها
بعضهم للعوام ويحسنها لهم ، ويموهون لهم أنها من أفضل القربات
وسوف يتبرأ التابع من المتبوع فيقول (ربنا أطعنا صادتنا
وكبراءنا فأضلونا السبيلا)

والإشارة إلى قطرة من بحر ضلال تلك الأحزاب توضح
بعض ذلك فنقول : لا يصح اعراب حاء الرحمة ونحوه إلا بدلا
مما قبله أو عطف ببيان أو صفة كاشفة

وعلى الأول تكون الحاء هي المقصودة بالحكم والمبدل منه في حكم
الطرح كما صرح به النحاة ، وعلى الثاني والثالث تكون الحاء
تفسيرا لمعنى ما قبلها ، فتكون هذه الحروف الثلاثة هي رسل الله ،
ولا يبعد أن يوجد في العالم منها ما يزيد على أكثر من مائة ألف
فيثبت لها أنها كلمها رسل الله ، أنزل عليها القرآن وقصدت
بآية (الذين يذبحون الرسول النبي الأمي) كما قال المنعوت في
سورة الاعراف فتكون كلمها أسماها محمد بن عبد الله بن آمنة

ولدت في مكة ودفنت في المدينة ، ويثبت لها كلها جميع خصائص
 ذلك الرسول من جميع ما جاء في هذا الكتاب ، وفي غيره من
 القرآن والحديث وغيرهما ويثبت لذلك الرسول الحقيقي خصائص
 تلك الحروف من كونها حرف هجاء مهمل لا معنى له ولا دلالة له
 على شيء موجود أصلاً مع جعل ذلك الموجود هو ومتعلقاته
 عين تلك الحروف الكثيرة ، فالخلاص يكون بتكذيب ذلك كله
 والاعتراف بتحمل أوزار ذلك كله وإن شيئاً من تلك الحروف
 ليس لها ذات محد ولا اسم ولا صفة ولا شؤون ولا خصائصه ،
 ولا أظن أن ذلك يكفي بصورة مجملة بل لابد من التفصيل ليدرك
 مبلغ الجنايات المترتبة على ذلك وكذلك نفي وإنكار إثبات
 خصائص تلك الحروف من الكثرة والاهمال عما هو الحق والاعتراف
 بالتمايز والتغاير وعدم إضافة ما لكل من الخصائص إلى الآخر

(ت) قال في راموز الحديث وشرحه لوامع العقول تحت
 حديث « لا تجعلوا » أي أيها الأصحاب « قبرى عيداً » أي
 لا تجعلوا زيارة قبري عيداً . قال الطيبي : نهام صلى الله عليه وسلم عن الاجتماع
 لها اجتماعهم للعيد ، وكانت اليهود والنصارى تفعل ذلك بقبور
 أنبيائهم فأورثهم الغفلة والقسوة

ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم حتى
 اتخذوها أصناماً ، وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله « اللهم لا تجعل

قبري وثمنا يعبد « فيكون المقصود من النهي كراهة أن يتجاوزوا في قبره ولهذا ورد : اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . ثم ذكر كلمة الحديث بقوله « ولا تجعلوا بيوتكم قبورا » (١) قال أي كالتقبور وقيل معناه لا تدفنوا أمواتكم في بيوتكم ، ورد الخطابي بأنه صلى الله عليه وسلم دفن في بيته مردود بأن ذلك من الخصائص لحديث « ما قبض نبي إلا رد من حيث يقبض »

ثم أكل الحديث بقوله — وصلوا على وسلموا حينما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم — قال في شرحه أي لا تتكلفوا المعاودة إلى قبري فقد استغنيتم عنها بالصلاة ، ورمز إلى أن مخرجه أبو يعلى والترمذي عن علي رضي الله عنه . ثم قال ورواه في المشكاة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا على فان صلاتكم تبلغني » رواه الذهبي وأبو داود ، كما يفهم من كلام النووي في الاذكار ، وقال ابن حجر ورواه أحمد في مسنده وأبو داود وصححه النووي ، وفيه أحاديث كثيرة انتهى كلامه باختصار من

(١) وفيه إشارة إلى النهي عن الصلاة في المواضع التي فيها القبور وذلك واضح من أمره (ص) بصلاة النوافل في البيوت ، والأمر لأصحابه بعدم ترك الصلاة في البيوت فتكون كواضع القبور التي لا تشرع الصلاة فيها ولا تجوز عندها كما هو واضح من السياق

الاحاديث
المتقدمة
في هذا الباب
التي ذكرها

في هذا الباب
التي ذكرها

ج ٤ من شرح الراموز من ص ٧٧٥ إلى ص ٧٧٧

قلت وقد أفاد الطيبي حكمة النهي عن جعل قبره صلى الله عليه وسلم عيداً بقوله « ومن عادة عبدة الأوثان أنهم لا يزالون يعظمون أمواتهم » أى بالتذلل لهم وطلب الخواجج منهم أو بواسطتهم أو بالنذر لهم والطواف بقبورهم ، وتقبيلا ، والتبرك بها وبصورها الموضوعة عليها المسماة بالصناديق والتواييت وبانزال المهمات بأصحابها ، والاعتماد عليهم في كشف الكربات كما يفعله كثير من العوام والعلماء الذين يجهلون أنهم بعملهم هذا كانوا ضالين مضلين حيث أنهم اتخذوا تلك القبور أوثاناً وأصناماً ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، وأغروا العامة فاضطروهم إلى الاقتداء بهم ظانين أن ذلك عمل إسلامي يتقرب به إلى الله فصدوهم بذلك عن العبادة لله وحده إلى عبادة المخلوقات واتخاذها أنداداً وأدخلوهم في دين عبدة الأوثان وهم لا يشعرون

ولعل السبب في ذلك هو ركونهم إلى الراحة فلم يتجشموا مطالعة الكتب ولا سيما التفاسير ليظهر لهم تقصيرهم في معرفة معاني الآيات المتعلقة ببيان أن ما ذكرناه من أعمالهم هو بعينه دين المشركين الأولين الذي حكاه الله عنهم في القرآن الكريم ، ولو أنهم أجهدوا أنفسهم في إمعان النظر بمعاني تلك الآيات لتبين لهم أنه لا نزاع في كون تلك الأعمال هي في الحقيقة عبادة لأوثان

الاموات باتفاق أهل اللغة وأهل الشرع من جميع المجتهدين
والمفسرين ، ولتبين لهم أيضا أنه لا نزاع بينهم في أن هذه الأعمال
المصروفة إلى الاموات إنما هي أعمال وثنية « كما ملأها الله ورسوله
ﷺ بذلك » مهما حسنت نياتهم ونطقت بالشهادتين ألسنتهم ،

بل ومهما قاموا بأداء الصلاة والصيام ، غير أن أولئك العلماء
اعتقدوا أن لا سبيل إلى فهم الآيات القرآنية فأنى وكيف يتأتى

لهم فهم معناها الدال على ما ذكرناه ، وهم قد اعتقدوا أن فهم
معانيها يحتاج إلى حيازة منصب الاجتهاد وهم لم يجزوه لأحد

الا من توفرت فيه شروطهم الثقيلة فمنعوا بذلك أن يتفضل الله به
على أحد من خلقه بعد أولئك الاربعة فكذبوا بالآيات التي تفيد

بأن فضله عازماً شاملاً غير محصور بأربعة ولا زمان دون زمان ،
وذلك لازم لهم فلذلك أخذ بعضهم بقول من يقول بانقطاع

الاجتهاد منذ عدة قرون فهذا هو الذي حال بينهم وبين فهم القرآن
على أن هؤلاء المتأخرين أخذوا الى التقليد الصرف حتى في

مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين ،
والفارق بين الكفر والاسلام وجعلوا أنفسهم كالعميان لا يميزون

الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في
كل ما يجدونه مدونا بين دفتي كتاب لأنهم رأوا التسليم أهون

من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد

يأخذون به
كأنهم لا يرون

لكن
صلواتهم
تعتبر عن
مفسد
التي
مع
المنعم
علمهم
فالله
بالدين
تدبر
حكما
وطلما
للإيمان

يتعصبون لمؤلفات شيوخهم الاقدمين ويتخذون الخلافات مداراً
لنطبق الاحكام على الهوى لا يبالون بحمل أثقال الناس في الدين
على عواقبهم ، ويزعمون أن التسليم أسلم ، وأنهم أمراء النقل
وان خالف ظاهر النص ، ويتوهمون أن اختلاف الأئمة رحمة
للأمة عملاً بحديث موضوع — اختلاف أمتي رحمة — ذكره
السيوطي في الجامع الصغير بغير سند

وقد انتهى الحال ببعض منهم الى تقليد أرباب الوحدة في
وحدتهم فقرأ البعض أحزابهم المشتعلة على نفي رب العالمين وانكار
وجوده ووجود العالم بأجمعه ، وانكار وجود محمد ﷺ والانبياء
قاطبة ، وأديانهم وشرائعهم ، وقلدوا أصحاب هذا الدين الذي
لا يوجد على وجه الارض دين أبطل منه ، وورطوا العامة في
تصحيحهم لهذا الدين الباطل ، فلم ينكروا معنى الجمع والفناء والبقاء

١- تأمل ومعنى لاهو إلهو

في صفة وقد فسر بعض المشايخ الصوفية في البدور الجلية معنى الجمع
تعبيراً ناقلاً عن الفتوحات بأنه إشارة الى حق بلا خلق ، ومعلوم أن
الخلق موجود بالمشاهدة لا يمكن انكار ماهو مشاهد ومع ذلك فقد
نفوه ظلماً ومكابرة للحس والعيان

قال صاحب البدور نقلاً عن المحيوى ان الجمع استهلاك في الله
عند رؤية الجمال ، وقال أيضاً في موضع آخر : ونوع آخر ، أي
من ظهور الله في العالم ، وهو تجلى الله في ذرات مخلوقاته فلا ينحجب

في صفة
تعبيراً
ناقلاً
عن الفتوحات
بأنه إشارة
الى حق بلا
خلق ، ومعلوم
أن الخلق
موجود بالمشاهدة
لا يمكن انكار
ماهو مشاهد
ومع ذلك فقد
نفوه ظلماً
ومكابرة للحس
والعيان
قال صاحب
البدور نقلاً
عن المحيوى
ان الجمع
استهلاك في
الله عند
رؤية الجمال
، وقال أيضاً
في موضع آخر
: ونوع آخر
، أي من ظهور
الله في العالم
، وهو تجلى
الله في ذرات
مخلوقاته فلا
ينحجب

بها بل هي مرآة لظهور بل لا يظهر حينئذ ، وإنما الحقائق متلاشية
كخيال موهوم انتهى توضيحه على زعمه الفاسد أن الله يظهر في
كل ذرة من المخلوقات ، ولما كان الظهور فيها يقتضي أن تكون
المخلوقات ظرفاً له تعالى نفى ذلك زعماً منه أن حقيقتها متلاشية
كخيال موهوم كما صرح به إمامه في النصوص حيث قال إنها خيال
في خيال . وقال في الفتوحات (ص ٦ ج ٢) أن حقيقة الخلق عين
حقيقة موجدته .

ثم إن المؤلف المذكور صاحب البدور قال : وأنت خير أن
الموهوم ليس بشيء حقيقة أي أن المخلوق ليس بشيء . ثم استدل
على هذا الباطل بتحريف آية (كل شيء هالك إلا وجهه) وحملها
على غير معناها . وذلك أنه بعد أن قال : أن المخلوقات متلاشية
قال : وهذا سر قوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وأكّد
هذا الباطل وصرح به حيث فسر قوله تعالى (له الحكم واليه
ترجعون) بقوله : ترجعون اليه من الوجود المجازي بالفناء عنه أي
باعتقاد فناء وجود حقائق الخلق وظهور أن وجود الخلق هو وجود
الرب بعينه ، ولذلك قال أي حال فنائكم عنكم وبقائكم بربكم ،
أي يظهر لكم أن وجودكم الذي حسبتموه وجوداً غير وجود
ربكم هو في الحقيقة والواقع وجود ربكم ، أما وجودكم فأمر موهوم
لا حقيقة له .

وهذا مراد الصوفية بالجمع والبقاء والفناء وجمع الجمع . وهو

الذى فسره بقوله إشارة الى حق بلا خلق . وفي هذا الحال بحسب هذا الاعتقاد الباطل ينتفى عندهم الخلق ، ويصير كل شيء وجوده حقاً ورباً وإلهاً ، ولذلك يزعمون أن كل ما يشيرون اليه بـ (هذا) أو بـ (هو) من كل مخلوق فذلك المشار اليه هو الله وهو الحق . ولذلك يقولون يامن هو هو هو كما قال الشاذلى فى حزب البر . أو يقولون لا هو إلا هو كما قال ذلك فى حزب يوم الاثنين

ثم قال المؤلف المذكور فى البدور (ص ١٩٣) ولهذا أى لاجل تأمل معنى الهوية يتركون ياء النداء فيقولون هو لا هو إلا هو . ويكون فى حال كأنه يخاطب أعضائه بأنه ليس فى الوجود إلا هوية الحق وهو الغاية القصوى . قال : وصاحب هذا المقام لا يحجب بالخلق عن الحق - ولا بالحق عن الخلق ، ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة . ويشهد أن الحق ظاهر فى المظاهر فلا يشهد بظاهر بلا مظاهر كما هو مشهد الموحدين ، ولا بمظاهر بلا ظاهر كما هو مشهد المحجوبين المسجونين فى الفرق الأولى . اه كلامه الماثل بالضرورة وبالبداهة والشهود والعيان .

فتصريحه بأنه ليس فى الوجود إلا هوية الحق يظهر به مرادهم بقولهم لا هو إلا هو ، وهو أن معناه عندهم أن كثرة الخلوقات وتمايزها وتغايرها وتشخصها منفى بلا هو لأنه خيال متلاشى . ويثبتون بـ (إلا هو) أن وجودها هو وجود الله الحق السارى فيها — تعالى الله وتقدس عن هذا الاتحاد الاعمى الذى يكون فى

جانبه اتحاد الفصراى قطرة من بحار زاخرة
وقد حقق المؤلف وأمثاله من الصوفية المتأخرين هذه الاتحادات
بأنواع من التأكيدات والتحقيقات التى لا تكاد تنحصر . منها
قول المؤلف المذكور : ولا يحجب بالخلق عن الحق — أى لأنه
يراهما وهما وخيالاً متلاشيّاً

ومنها قوله : ان الوهم ليس بشىء — أى فلذا لا يكون حاجباً
عن الحق ، لأن معتقد ذلك يزين له الشيطان رؤية حقيقة نفسه
وعيره من كل شىء ، هى حقيقة وجود الله وطلباً للوصول إلى هذا
الاتحاد المستحيل يقولون لا هو إلا هو ، ويجعلون هذا هو التوحيد
الذى دعت إليه الرسل ، ويزعمون أنه معنى لا إله الا الله كما صرح به
السويدي والهندي فى شرح كشف الحجب المرسله ويسمونه وصولاً
وجمعاً ، لأنه يتصل حقائق المختلفات بعضها مع بعض وتجتمع كلها
فى شىء واحد هو وجود الله ، ويسمونه أيضاً بقاء لأن وجود الحق
باق ، وقد صار الخلق حقاً فأخذ أحكامه كلها . ومنها البقاء
والأزلية والأبدية والربوبية والالوهية والأسماء الحسنى ، ونحو
ذلك من شؤون الاله كلها فيجعلونها لكل ذرة من الخلق ، فيكون
الخلق على هذا الاعتقاد اللعين حياً قيوماً مالكا لنفسه وغيره .
وهذه أمور مستفيضة فى سائر كتب الصوفية يصرحون بها ،
ويتباهون ويتفاخرون من غير حياء ولا مبالاة ، لعلمهم بأن العلماء
أكثرهم قد قلدوهم وتابعوهم على هذا الكفر الفظيع ، والعامّة

تابت العلماء . وهذا نتيجة تقليد العلماء لهؤلاء الأنام
قال الفاسي في شرح الدلائل (ص ٤١) تعليقاً على قول الماتن
يا هو يامن لا هو إلا هو . نقلاً عن شيخ شيوخه مانصه :
والحاصل أن الإشارة بـ (هو) مختصة بأهل الاستغراق والتحقيق
في الهوية الحقيقية ، فلانطابق بحر الأحدية عليهم ، وانكشف
الوجود الحقيقي لديهم ، فقدوا من يشار إليه بـ (هو) إلا هو ، لأن
المشار إليه لما كان واحداً ، كانت الإشارة إليه مطلقة لا تكون إلا
إليه لفقدها سواه في شعورهم لفنائهم عن الرسوم البشرية بالكيفية
وغيبتهم عن وجودهم وعن إحساسهم وأوصافهم الكونية . وذلك
غاية في التوحيد .

ثم قال في تفسير (يامن لا هو) مثل التي قبلها . أي يامن يشار
إليه بـ (هو) وتطلق عليه وله الوجود الحقيقي (إلا هو) ضمير يعود
على الموصول . اهـ

وقال أبو زيد عبد الرحمن الفاسي في شرح حزب البر للشاذلي
قال القشيري : وقد قدمنا أن الإشارة بـ (هو) مختصة بأهل
الاستغراق . الخ مانقلناه آنفاً عن شرح الدلائل . ثم قال : هذا مقتضى
حال القوم فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لا ضمير غيبة كما هو موضوع
في أصله . انتهى مختصراً .

وقال ابن عطاء في مفتاح الفلاح المطبوع بهامش متن الشعراني

(ج ٢ ص ١٢٥) اعلم أن هو اسم موضوع للإشارة ، وعند أهل الظاهر لا يتم الكلام إلا بالخبر نحو قائم وقاعد . وعند هذه الطائفة هو إخبار عن نهاية التحقيق ، ويكتفون به عن كل بيان يتلوه لاستهلاكهم في حقائق القرب ، واستيلاء ذكر الحق على سرائرهم ، فما سواه لا شيء حتى تقع الإشارة إليه

قيل لبعض الوالدين : ما اسمك ؟ قال هو . قيل من أنت ؟ قال هو . قيل من أين جئت ؟ قال هو . قيل ما تعنى بقولك هو ؟ قال هو . وما سئل عن شيء إلا قال هو . قيل لعلك تريد الله ، فصاح صيحة عظيمة ثم مات . انتهى باختصار .

وقال السويدي والهندي في كشف الحجب الرسالة (ص ٨١) ولا تنفى في قولك لا إله إلا هذه الآية . وقد فسرناها بقوله : هو عبارة من أن تكون وباطنك غير الحق سبحانه

ثم قال الهندي (وهو) قال شارحه السويدي أى نفيك لها (عين معنى لا إله) إذ لو لاحظت غيره موجوداً بوجوده الذاتى لزم قدمه ثم لزم كونه إلهاً . ثم بعد نفيك هذا (اثبت أنت الحق سبحانه) أى وجوده فى باطنك ثانياً (وهو) أى هذا الاثبات (عين معنى لا إله) انتهى شرحاً ومتمناً باختصار

وبالتأمل فى هذه التقولات يظهر للعيان أن مذهبهم واعتقادهم فى معنى لا إله هو نفي وجود الخالق والمخلوق ، والعابد والمعبود ، والایمان وإنكار وجود محمد ﷺ ونفي نبوته ، وإنكار وجود

الرسول، وتنفى البعث والحشر والجنة والنار والدنيا والآخرة، وكل ما كان ويكون وهو كائن. وأما كلمة الله في شهادة أن لا إله إلا الله، فمعناها عندهم إثبات أن جميع ما ذكرناه من الخالق والمخلوق إلى آخره شيء واحد هو ذلك الحق المتحد بكل شيء حتى بلفظه الذي يزعمونه حقيقة العالمين متحداً وظاهراً بكل شيء، مع أن الحقيقة أن ذلك الحق عدم محض وهو غير الله، وغير كل ما ذكرناه.

فبالنظر الواقع كانت عقيدتهم إنكار كل شيء وهذا الإنكار المشتمل على أعظم كفر وإلحاد يجعلونه نهاية التوحيد، ولذلك بالغوا في نشره فورطوا عامة الناس فيه، ولا سيما انتشاره في الدلائل الذي يتعبد به مثل ما يتعبد في القرآن في الكثرة، وهؤلاء الذين يتعبدون به وإن كانوا يجهلون حقيقة ما ذكرناه من مذهبهم فهم مؤخذون وداخلون في مذهبهم، ومحبوبون شرعاً منهم، وعلى عقيدتهم، فهم الآن إذا لم يتوبوا توبة صادقة حين يقولون لا إله إلا الله ينكرون وينفون كل شيء، لأنهم قد رضوا بهذه العقيدة، وتلفظوا بلا هو إلا هو راضين بها غير مكرهين.

وقد نتج من عملهم ذلك التفريق بين المسلمين والمخالفة لقوله تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فلذلك عملهم حكم آية (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) والله المستعان (ت ص ٧) هذا الحديث مذكور في صحيح مسلم مع الشرح في

شهادة
به في
صلواتهم
وعبدتهم
فمنه
بالله
المستقيم
صراط
الدين
العباد
عالمهم
ما هذا
حال هذه
الصلوات
مردود
عن العالم
والله
العليم

(ج ٧ ص ٣٦) قوله وذلك هو محو الصور — قال النووي في شرح حديث أبي الهياج المذكور مانصه : فيه الأمر بتغيير صور ذوات الأرواح انتهى

يريد بقوله هذا أن في الحديث أمر النبي ﷺ بتغيير صور ذوات الأرواح، وهذا اعتراف من الامام النووي بموافقة المصنف فيما حكم به

(ت ص ٧) أخرج مسلم عن فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر بعض من مات من أصحابه فدوى ، ثم قال رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها

قال النووي في شرحه (ج ٧ ص ٣٦) قال الشافعي في الأم : ورأيت الأئمة بمكة يأمرؤن بهدم ما يبنى ، قال : ويؤيد الهدم قوله أى قول النبي (ص) في حديث أبي الهياج « ولا قبراً مشرفاً الا سويته — انتهى

فقد علم من أمر النبي (ص) في هذا الحديث بتسوية القبور ، وكذا من عمل على بن أبي طالب وفضالة بن عبيد وعمل الأئمة الذين رأهم الامام الشافعي رضى الله عنه يأمرؤن بهدم ما يبنى على القبور : أن تسوية القبور وهدم القباب المشيدة عليها أمر مشروع ثابت نقله عن النبي (ص) وعن الصحابة والتابعين والأئمة بعدهم ، أفلا يكون من أبشع الظلم وأشنع المنكرات إنكار من ينكر على من

أمر أو يأمر بهدم تلك القباب الضخمة المزخرفة التي أغرت ولم
تزل تغري الناظر اليها وتحمله على الاعتقاد بأنها تعظم - إلها عظيماً -
يضر وينفع ، ويعطي ويمنع . فاستغفر الله العظيم من أمثال هذا
الكفر الموجب للعذاب الآليم في الدنيا والآخرة

فليت شعري : هل علم هؤلاء المنكرون أن إنكارهم هذا إنما
هو في الحقيقة والواقع موجه بالدرجة الأولى على رسول الله ﷺ
وعلى بن أبي طالب لكونه امتثل أمر الرسول ﷺ بذلك ، وعلى
الصحابي الجليل فضالة بن عبيد ، وعلى الأئمة الذين رأهم الامام
الشافعي يهدمون القباب ونحوها ، وعلى الأئمة الأربعة وجميع
الجهنميين ، ثم على غيرهم تبعاً لهم والله المستعان

(ت ص ٨) أما التعظيم بالذبح فقد روى مسلم في صحيحه (ج
١٣ ص ١٤١) أن رسول الله ﷺ قال في جملة حديث « ولعن الله
من ذبح لغير الله » قال شارحه النووي : وأما الذبح لغير الله فالمراد
به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصنم أو للصليب أو لموسى
أو لعيسى أو الكعبة ونحو ذلك ، فكل هذا حرام ولا تحل تلك
الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً . نص عليه
الشافعي ، واتفق عليه أصحابنا . فان قصد مع ذلك تعظيم المذبح له
الذي هو غير الله تعالى والعبادة له كان ذلك كفراً ، فان كان الذابح
مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتداً

وذكر المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان

تقربا اليه أفتى أهل بخارى بتحريمه ، لأنه مما أهل به لغير الله تعالى
انتهى كلام النووي

قال في فتح البيان (ج ١ ص ١٩٨) ولا خلاف في تحريم هذا
أى ما ذبح لغير الله وذكر عليه غير اسمه وأمثاله . ومثله ما يقع من
المعتقدين للاموات من الذبح على قبورهم فانه مما أهل به لغير الله ،
ولا فرق بينه وبين الذابح الوثن . وفي تفسير النيسابورى للنظام
قال العلماء : لو أن مسلماً ذبح ذبيحة وقصد بذبحها التقرب إلى غير
الله صار مرتدّاً ، وذبيحته ذبيحة مرتد انتهى

قلت : ويدخل في التحريم الذى أشار اليه واللعن المذكور فى
الحديث الذبح لقوم عروس أو غائب ونحو ذلك مما تفعله العامة
من الذبح على عتبة الدار عند إكمال عمارتها إما لدفع الأقدار
والأضرار أو لجلب المنافع أو تعظيماً لمن يذبحون له اعتقاداً منهم بأن
ذلك أمر مشروع فى دين الاسلام ، والحقيقة أن ذلك حرام ملعون
فعله على لسان محمد ﷺ ، لأن معنى الحديث المتقدم وهو قوله
ﷺ « ولعن الله من ذبح لغير الله » إما الانخبار من النبى بأن الله
قد لعن كل من ذبح لغير الله ، وإما الدعاء عليه بأن يطرده الله من
رحمته ، ويأويح من دعا عليه النبى ﷺ باللعن أى بالطرد من رحمة الله
وأما تحريم التعظيم بالنذر لأهل القبور ، وكونه من اتخاذ
الأنداد فتأبى شرعاً من وجوه :

(الاول) الاجماع على تحريم النذر للمخلوق . قال في مراقى
 الفلاح (ص ٤٠٢) فلا يلزم الوضوء بنذره ولا سجدة التلاوة ولا
 عيادة المريض ، إذ ليس من جنسها واجب ، وإيجاب العبد معتبر
 بإيجاب الله تعالى إذ له الاتباع لا الابتداع . وهذا في ظاهر الرواية ،
 وفي رواية عن أبي حنيفة قال : إن نذر أن يعود مريضاً اليوم صح
 نذره ، وإن نذر أن يعود فلاناً لا يلزمه شيء ، لأن عيادة المريض
 قرينة ، وعيادة فلان بيمينه لا يكون معنى القرينة فيه مقصوداً للنادر
 بل مراعاة حق فلان فلا يصح التزامه بالنذر ، وفي ظاهر الرواية :
 عيادة المريض وإن كان فيه حق الله تعالى فالمقصود حق المريض ؛
 والنادر إنما يلتزم بنذره ما يكون مشروعاً حقاً لله تعالى مقصوداً اهـ
 قال محشيه الطحطاوى : قوله « بل مراعاة حق فلان » هو
 المقصود له . وقوله « فلا يصح التزامه » منه يؤخذ عدم صحة
 النذر للاموات .

قال في الدر : واعلم أن النذر الذى يقع للاموات من أكثر
 العوام ، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى ضرائح
 الأولياء تقرباً إليهم فهو باطل وحرام
 ثم قال : قال فى البحر لوجوه :

منها : أنه نذر لمخلوق ولا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون
 إلا لله ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها أنه إن
 ظن أن الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى كفر - إلى قوله -

للاجتماع على حرمة النذر للمخلوق ولا ينهقد ولا تشغل به الذمة ،
واته حرام بل سحت

انتهى كلام صاحب البحر ، ومنه يعلم بطلان ما يدعيه البعض
ويغالط نفسه بقوله إنهم لا يندرون للاموات ، وإنما يندرون لله ،
والثواب للميت ، ثم هو يبكي ويستبكي ويدعو بالويل والثبور على
كل من ينكر عليه هذه الأعمال والعبادات الشريكة المتقرب بها
إلى غير الله في الحقيقة ، وإلى الله على حسب زعمه ، وقد فات هذا
الغبي أن أول من أنكر — مازعمه طاعة الله — هو النبي ﷺ ثم
صحابته الأكرمون . ثم التابعون لهم بإحسان ، ثم الأئمة المجتهدون ،
ومنهم الامام أبو حنيفة وأصحابه عليهم الرحمة كما مر بك آنفا

على أننا ندلى بدلونا في الانكار عليهم والرد على مزاعمهم فنقول
(أولا) ليس في النذر الصحيح الذي يكون لله وحده ثواب أصلا
حيث قد ثبت النهي عنه — إذا كان معلقا على نحو شفاء مريض —
في أحاديث الصحيحين

(وثانياً) لو فرض وقوع ذلك وقصد بعض الناذرين له وثبت
شرعا حصول ثواب في النذر فالمقصود الأصلي للناذر مراعاة حق
الميت المنذور له بحسب الحقيقة الدافعة له إلى النذر ، وذلك أنه إنما
نذر لله ليحصل له ثواب حسب زعمه يهديه للميت مقابلة لإحسانه
في القيام بقضاء بعض حوائج الناذر إما بنفسه أو بواسطة عند الله
عالي ، وحينئذ فلا تكون القرية مقصودة لله أولا وبالذات ، بل

بالتبع كما قال أبو حنيفة بنظير ذلك في بطلان النذر لعمادة مريض
بعميه ، ومنه أخذ الطحطاوى عدم صحة النذر للاموات

ولاشك أن كثيراً من الناذرين للاموات إنما يندرون لهم
لاعتقادهم أو لظنهم أن هؤلاء الاموات تصرفات في الأمور ، فبناء
على ما حكم به صاحب البحر وأقره عليه الطحطاوى يكون هؤلاء
الناذرون « كفارا » ومعلوم أن الحكم عليهم بالكفر من قبل
علماء الحنفية إنما هو من جهة اعتقادهم بتصرف الاموات لا من
جهة عدم نطقهم بالشهادتين ، بل انهم كفار بذلك عند أولئك
الفقهاء وإن نطقوا بهما وصاموا وصلوا ، وإنما وجه التكفير
كونهم عبدوا الاموات كما مر بك تصريح صاحب البحر بذلك
لأجل أنهم عظموها بالنذر لها واتخاذها به أنداداً وأوثاناً ، فإن
مقصودهم بالنذر لها تعظيمها

فكما أن من سجد لصنم أو لقبر يكفر لتعظيمه بالعبادة ،
فكذلك الناذر يكفر ، لأن كليهما قد اتخذ أنداداً وعبد طاغوتاً
بقولها وفعلها وقصدتها ، فأنى وكيف تدخلهما الشهادتان في حظيرة
الاسلام والحالة هذه وهما قد نقضاها بهذا العمل ، وكذا بزعمهما
أنهما آمنّا بهما ، لأن مدلول شهادة أن لا إله الا الله هو « لا نعبد إلا
الله » لا بنذر ولا بديح ولا استلام قبر أو طواف به وتقبيله ، ولا
تعبد بأى نوع من أنواع التعبدات لأحد من المخلوقات ، بل نكفر

بعبادتها وتعظيمها بأي نوع من ذلك ، ولا تقر باستحقاق العبادة
إلا لله قولا وفعلا ونية واعتقاداً

هذا كله هو المعنى لكلمة لا اله الا الله

الوجه الثاني : ان التعظيم لله بالنذر وغيره من العبادات
عنوان على صدق العبد في دعواه أنه آمن وصدق بأنه لا يستحق
التعظيم والمحبة والعبادة إلا الله وحده ، فمضى نقض العهد والميثاق
الذي غاهد به وأقر به بقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله :
أشهد أن لا إله إلا الله ، وكذب ذلك بتعظيمه الأموات وعبادتها
لم يكن آتياً بالتصديق الفعلي لا يمانه القولى ، بل فعله هذا قد
برهن على كذب دعواه الايمان بذلك ، حيث شرع له كلمة وثنية
يعظمها ويستلمها ويقبلها وينذر لها ، ويبذل لها خالص الحب والخضوع
تقرباً بذلك إلى الأموات المدفونين تحت القبور المنصوبة عليها
صورة رجال مضاهاة للكعبة المشرفة التي يتقرب بفعل ذلك عندها
إلى الحى الذى لا يموت

والبلمية العظمى كونه اعتقد أن ذلك الدين الوثنى هو بعينه
دين الانبياء الذى دعت اليه الرسل ، وأنزلت به الكتب الالهية
ولئن كان النبي ﷺ قد حكم على اليهود الذين إذا مات فيهم الرجل
الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا فيه تلك الصناديق الموضوعة
مثلاً على قبور المسلمين - حكم بأنهم شرار الخلق عند الله ، فالواجب

أن يحكم على من يصنع ما ذكرناه ممن يدعى الاسلام بأنه أعظم
 إلحاداً وزوراً وبهتاناً وشرّاً من شرار الخلق — فكيف لا يحكم
 على أولئك الذين قد اتبعوا سنتهم شبراً بشبر بأنهم من شرار
 الخلق ؟ لا بل ينبغي أن يحكم عليهم بأنهم شر شرار الخلق . وذلك
 لأنهم قد زادوا على اليهود شرّاً وبلاء عظيماً : ألا وهو أن عملهم
 هذا وأمثاله مأخوذ من الشريعة الإسلامية التي قد جاء بها
 النبي ﷺ من عند الله ، فالزم العباد بها ، ويلزم من ذلك
 أن يكون محمد ﷺ متعبداً بدينهم الوثني ، وأنه ملة ابراهيم
 حنيفاً . وهذا لم يقل به من يحمل ذرة من عقل ، لأنه من
 المعلوم الواضح المقرر أن النبي ﷺ قد أتى داعياً لاجتثاث
 أمثال هذه الأعمال الوثنية ، والاعتقادات الشركية

فإن الأحاديث الصحيحة المتلقاة بالقبول من قبل الصحابة
 والتابعين وكافة المجتهدين قد حرمت النذر لمخلوق ، وحرمت
 البناء على القبور ، ولعنت من ينصب عليها صناديق ، فما بالك
 بما نشاهده الآن من هذه الصناديق التي تمثل صورة المقبور تحته
 من وضع عمامة بيضاء أو خضراء في رأسه ، وسبعة مثوية في
 عنقه ، وقنديل بجانبه ، إلى آخر ما هنالك من طاعة للشيطان ،
 ومعصية للرحمن

كما أنها قد لعنت المصورين مطلقاً ، وحكمت عليهم بأنهم

أشد الناس عذاباً يوم القيامة . وما ذلك إلا لأن الصور ذريعة
 ووسيلة لعبادتها ، كما وقع لقوم نوح حيناً أخبرنا الله عنهم في
 قوله تعالى (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن وداً ولا سواها) الخ
 فإنه قد ثبت في صحيح البخاري ومعظم التفاسير عن ابن عباس
 وغيره من الصحابة والتابعين أن وداً وسواها ونحوهما كانت
 أسماء رجال صالحين صور قوم نوح صورها أولاً لأجل أن
 تذكّرهم بعبادة أولئك الصالحين ، وبعد أن طال عليهم العهد ،
 ونسى العلم أغواهم الشيطان فاتخذوها واسطة تقربهم إلى الله ،
 وترفع حوائجهم إلى ربهم ، فسامهم الله بذلك مشركين عابدين
 للأصنام ، وجعل اتخذ تلك الواسطة عبادة لها ، وحكم الله بذلك
 بحكم غام يتناول قوم نوح - إلا من آمن - وكل من يفعل مثل
 فعلهم المذكور إلى يوم القيامة ، ولو كان ممن يزعم أن ذلك دين
 إسلامي ، فلا عبرة بزعمه ، بل العبرة لحكم الله وحده لا لزعم
 الزاعمين ، والله الهادي

على أن الذي يجعل المسلم يضرب الأخماس بالأسداس أسفاً
 على ما آلت إليه حالة المسلمين الآن بسبب التقليد الأعرج هو عدم
 وجود ما يثبت لنا صحة دفن هؤلاء الأنبياء أو الأولياء المزعومين
 في هذه المشاهد التي لا يخلو بلد إسلامي منها . فقد قال العراقي في
 كتابه طرح التثريب (ج ٣ ص ٣٢) :

والله اعلم
 بالصواب
 والحمد لله
 رب العالمين

وليس في قبور الأنبياء ما هو محقق سوى قبر نبينا ﷺ
وأما قبر موسى عليه السلام فظنون بالعلامة التي في الحديث .
وقبر إبراهيم الخليل ومن معه أيضا مظنون بمنامات ونحوها اه
وقال البعثة الدكتور داود الجلبى في كتابه مخطوطات
الموصل (ص ٢٠٤ و ٢٥٤) عن النبي دانيال وشيث والنبي يونس
ما خلاصته انه نزل بنفسه منقبا عن أثر يدل على دفن هؤلاء
الانبياء في هذه المشاهد الضخمة ، فلم يجد أى أثر يثبت ذلك
ماعدا الاوهام والخيالات والمنامات

قال (ص ٢٥٤) قرية النبي يونس ويقال لها قرية نينوى :
على تل كبير هو من لواحق خرابة نينوى ، فيها جامع كبير أنان
لأنحطى ، إذا قلنا إنه كان من الأزمنة معبد لأقوام ذى أديان
مختلفة ، والآن فيه قبر يزار لا تشك الناس في كونه قبر النبي
يونس ذى النون الوارد ذكره في التوراة والقرآن ، ويقولون إن
القبر مركب على سرداب فيه جثة النبي يونس محفوظة من البلا .
ولكن ابن جبير الذى زار هذا المكان سنة ١١٠٠ للهجرة وصفه
في رحلته المشهورة وصفا تاما لم ير فيه سوى رباط للدرأوئش
الصوفية ، جل ما فيه بيت عليه ستار كان يقال انه الموضع الذى
وقف فيه النبي يونس عليه السلام ، وأن محراب ذلك البيت محل
عبادته . ولم يذكر هناك قبر ما . وهذا كلام ابن جبير بنصبه

ص ٢١٤) — وبعد أن نقل كلام ابن جبير قال : ومثله كلام
بن بطوطة وهذا نصه (ص ١٧٦) فليراجع

وبعد أن نقل كلام ابن بطوطة أيضا قال :

ومن المعلوم أن بناء النبي يونس جدد على عهد تيمورلنك
من قبل وزيره إبراهيم الختني ، فيظهر أن صدور القبر أقيم من
ذلك الحين أو بعده . ويقرب للفكر أنه أقيم على المحراب الذي
ذكر السائحان رواية تعد النبي يونس فيه

ثم قال : وفي أسفل البناء الآن دهليز طويل ، ولقد نزلت
اليه بسلم خشب موضوع هناك وممرت حتى بلغت منتهاه ، فوجدته
عبارة عن قبب من الآجر متبادية طولا مركبة على مناطق

ثم قال : انتقل فكري وأنا أسير في هذا الدهليز الى دهليز
دخلته قبل سنتين في أعلى مكان من خرابة الشرقاط قال عنه
المنقبون إنه كان بيت الصنم الذي كان يعبد الآثوريون ،
ولاحظت أن كلا الدهليزين متجه من الغرب إلى الشرق ولا فرق
بينهما إلا في الامتداد ومواد البناء ، فقلت في نفسي : هل كان هذا
الدهليز في أصله أخا لدهليز الشرقاط ؟ وهل كان إنشاءه في القديم
لغاية واحدة ؟ اهـ

ونحن نجيب الدكتور - والأسى يملأ قلوبنا - بقولنا :
نعم ، ان غاية إنشاء كلا الدهليزين بل وباقي الدهليز التي على

شا كلتهما - وما أكثرها - واحدة ، يدلنا على ذلك ما كان أخبرنا
به العلامة الشيخ بركات النعماني قال :

كنت يوماً ماراً ببلدة الموصل من أعمال العراق ، وذلك
لدى زيارتي لها ، فطرق سمعي صوت مؤذن على المنارة يتنغم
بالأسجاع الآتية : اللهم صل وسلم وزد وبارك على ذلك الصدر
الرئيس ، والجوهر النفيس ، وعلى من نحن في حمايتهم وتربيتهم
مدى الدهر ، نبيك شيث ونبيك يونس ونبيك دانيال ونبيك
جرجيس الخ ما هناك من أسجاع إطرائية لا يستحقها إلا إله عظيم
قال : عند ذلك عزمت على أن أعلم شيئاً عن هؤلاء الأنبياء الذين
قد وضعهم هذا الجاهل برفقه إياهم إلى مقام الألوهية ، لاسيما لأعلم
من هو جرجيس ، ومن أين أتته النبوة فارتقى للدرجة الألوهية ؟
بحيث أن أهل البلد دائماً وأبداً محتمون بحمايتهم - مدى الدهر -
كما يشهد بذلك قول المؤذن السالف الذكر

قال : ولما أتيت جامع النبي شيث وبذلت الجهد توصلت إلى
الخلاصة الآتية وهي أن رجلاً زعم أن النبي شيث قد ظهر عليه في
المنام وأخبره بأن قبره هنا ، وأمره بأن يبني عليه ضريحاً ضخماً
فحما ويقببه بقبة عظيمة ، وهكذا كان ، وكتب على باب الجامع :
من زار نبي الله شيئاً يذهب - وكل ضيق - لاشك - ينفرج
ولذلك أصبح هذا الضريح غاصاً بالزائرين العاكفين عليه ،

يتسابقون بتقديم عرض حوائجهم اليه خاصة، أو بتوسطه . والله المستعان . قال :

وفي زيارتي لمقام النبي دانيال ظهر لي شبه ماظهر لي في مقام النبي شيث وهي خلاصة أوهام وأحلام ، وأما في زيارتي للجامع النبي جرجيس فقد ظهر لي من الروايات المنضاربة عن هذا النبي المزعوم ما يضحك الصبيان ويغضب الحليم ، وكيف أن الشيطان قد لعب في عقول القوم لدرجة أنهم ارتقوا برجل كل ماقيل أو يقال عنه أنه المارجورجيس أو الحر الأموى — إلى درجة النبوة فافوق بذلك على ذلك الأبيات المكتوبة على باب غرفة القبر وهي :

زيارة جرجيس النبي بشارة	لنيل مراد والمرام مع اليسر
لأعتابه فأت ولذ بجناحه	بنية إخلاص مع الصدق في السر
فقد وعد الرحمن من قد دعا به	يجيب دعاه ثم ينجيّه من عسر

وكذا الأبيات المزين بها باب الجامع الذي هو في ممر الناس :
زر حضرة ملئت نوراً وتقديسا

واقصد نبي الهدى ذا المجد جرجيسا

ما جاءه قاصد يشكو ملامته إلا ونفّس عنه الكرب تنفيذا

قال : ولما أردت أن أعلم شيئا عن النبي يونس عليه السلام وهو النبي الرابع المألوه اقترح على أحد أصحاب النيات الحسنة من المقلدين أن أرافقه إلى زيارة النبي يونس يوم الجمعة عسى الله أن يوفقني لمقابلة ستة زيارات أخرى فتكتب لي عند الله حجة

كاملة ، وذلك على حسب اعتقاد معظم أهل البلد ، أو لأربعين
زيارة على اعتقاد بعضهم .

ولما ذهبنا رأيت الجامع على سمته غاصاً بالمصلين ، فصعد
منبر الخطابة رجل عجوز طاعن في السن هو مفتي البلدة ، فخطب ،
وليته لم يخطب ، وبعد فراغ من الصلاة تقدم المفتي ومن ورائه
ذلك الغناء كغناء السيل إلى الضريح متأدباً خاشعاً - دونه خشوعة
في الصلاة - باكياً مستبكياً ، ناحباً متضرعاً رافعاً يديه ، صارخاً
بأعلى صوته : يا ابن متى يا ابن متى ، طالباً منه أن يدرك المساكين
وينجيهم مما هم فيه من الجذب وانقطاع الامطار عنهم . ونحو ذلك
من البلايا التي تدمر أهل البلدة في بعض الأحيان كما أخبرني مرافقي
في تلك الزيارة أن ذلك دأب الخطيب على الدوام

فعلت حينئذ أن منثاً ضلال العامة صادر من أمثال هذا
الخطيب ، وذلك ماخشيته النبي ﷺ من زلل عالم بالجبة والعامة
والاسم والشهرة فلاحول ولا قوة الا بالله على ما حل بالامة من
الجهل الفظيع والشرك القديم المردى لها في قعر السعير

(تص ٨) قال الطحطاوى (ص ٣٦٢) من حاشيته على مراقي
الفلاح : قال في الاحياء : ولا يمسخ القبر ولا يقبله ولا يمسه ،
فان ذلك من عادة النصارى . كذا في شرح الشريعة اهـ

أقول : وهذه الامور الثلاثة برهان واضح على ما ادعيناه
من أنهم اخترعوا لهم كهبة غير كهبة البيت الحرام ، حيث أنهم

أثبتوا لكعبتهم التي نصبوها على القبور مصورة بصورة رجال
لوازم الكعبة المشرفة ، أعنى الاستلام والطواف والتقبيل ووضع
الستر حتى يكمل بذلك وقعها في نفوس العابدين ، وتعظيمها في
قلوب الطائفين حولها اقتداءً بالفصاري على ما أشار إليه الغزالي

(ت ص ١٣) قال الله تعالى لأمثال هؤلاء الداعين أصحاب

القبور (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كشف
الضر عنكم ولا تحويلا) قال البيضاوي في تفسير (من دونه)
كالملائكة والمسيح وعزير . قال شيخ زادة في حاشيته (ج ٢ ص
٢٢٨) لم يذكر - أي البيضاوي - الأصنام ، لأنه تعالى قال في
صفة المدعوين (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة)
وابتغاء الوسيلة إلى الله لا يليق بالأصنام البتة انتهى

يريد أن الأصنام لما كانت جهاداً يتعذر عليها ابتغاء الوسيلة
ولذلك قال : فيمنبغي أن تكون الآية نازلة في قوم عبدوا الملائكة
من المشركين الزاعمين لأنفسهم أنه ليس لهم أهلية الاشتغال
بعبادة الله تعالى ودعائه بطلب حاجاتهم - أي مباشرة دون وساطة ،
يقولون : ولذلك نحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى من
الملائكة ونحوهم من العباد الصالحين ، فأتخذوا للملك الذي عبده
تمثالا وصورة ، واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم أنه تمثال
ملك ، فأنزل الله تعالى تلك الآية احتجاجاً على بطلان قولهم

ووجه الاحتجاج أن الاله المعبود هو وحده القادر على إزالة الضرر وإيصال النفع . والأشياء التي يعبدونها لا تقدر على كشف الضرر ولا على تحصيل النفع ، وغاية شأن الملائكة أنهم عباد مكرمون . فوجب القطع بأن شيئاً منها ليس بإله ، انتهى وقال الرازي في تفسيره (ج ٤ ص ٨١٩) أنهم وضعوا هذه الأصنام والاوثنان على صور أنبيائهم وأكابرهم ، وزعموا أنهم متى اشتغلوا بعبادة تلك التماثيل فإن أولئك الاكابر تكون شفعاء لهم عند الله تعالى ، ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فأنهم يكونون شفعاء لهم عند الله ، انتهى

وقال في الدر المختار (ج ٥ ص ٢٩١) مانصه :

وفي التتارخانية معزواً للمنتقى عن أبي يوسف عن أبي حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به ، والدعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى (والله الاسماء الحسنی فادعوه بها) اه قال ابن عابدين : قوله « إلا به » أي بذاته وصفاته وأسمائه اه

فهذا تصريح الرازي وشيخ زاده وأبي حنيفة وابن عابدين وكلهم قد أفاد كلامه بأن التوسط بالانبياء والملائكة والاولياء والتشفع بهم في قضاء الخوائج أو الدعاء بغير المأذون فيه والغير المأمور به أباً كان مخترعه لا يجوز في دين المسلمين بل هو بعيثه

دين المشركين الذي أبطله الله بصريح القرآن كقوله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله) الخ .
قال في الجلالين : أى لا تقدموا بقول ولا فعل بين يدي الله
ورسوله المبلغ عنه أى بغير إذنهما . انتهى

وكقوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم
يأذن به الله - إلى قوله - وإن الظالمين لهم عذاب أليم)

وقال الرازى أيضا فى تفسيره (ج ٥ ص ٦٠٥) تحت قوله
تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) الخ ما نصه :

اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين . ثم قال :
وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشغل
بعبادة الله تعالى ، فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم
الملائكة ، ثم أنهم اتخذوا لذلك الملك الذى عبدوه تمثالا وصورة
واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل ، والله تعالى احتج على بطلان
قولهم فى هذه الآية فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه)
وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال فى صفتهم (أولئك الذين
يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وابتغاء الوسيلة إلى الله لا يليق
بالأصنام البتة .

إذا ثبت هذا فنقول : إن قوماً عبدوا الملائكة فنزلت
هذه الآية فيهم

قال ابن عباس : كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه

لفظ « زعم » فهو كذب . اه مختصرا

فاذا علم ذلك أدركنا مدى ابتعاد معظم المسلمين اليوم عن حقيقة دينهم واستبداله بدين المشركين بصورة طبق الأصل ، فما قبهم الله بنسبته نعمة الاستقلال والسيادة ، وجعلهم أذلاء مستعبدين لا يفكرون في الخلاص من هذا الذل ؛ وإذا فكروا لا يهتدون ، قال تعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون)

وقال تعالى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولنهم عذاب أليم - إلى قوله - ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين - إلى - إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وقال تعالى (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نمجزى القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون) والآيات في ذلك أكثر من أن تحصى

ولعل قائلًا يقول : إن هذه الآيات إنما نزلت في حق
المشركين . ونحن نقول له : لو تأملنا الأعمال التي عملها غير
المسلمين فكانوا بسببها مشركين مستباحي المال والدم لظهر لنا
أن معظم ذلك هو اتخاذهم صورة تمثل أحد الصالحين ليتذكروه
فيتقدموا به إلى الله مستشفعين . وقد يكون ذلك الصالح نبيًا من
أولى العزم كسيدنا عيسى عليه السلام مثلاً ، وتلك الأعمال هي
عين الأعمال التي يقوم بها معظم المسلمين اليوم ، فنحن نراهم
ونشاهدهم في معظم بلاد المسلمين قد أقاموا هذه الصور التي تمثل
فلاناً ، وفلاناً قد يكون صالحاً حقيقة ، وقد يكون بالعكس على خط
مستقيم ، مع أنه مهما بلغ من الصلاح فلا يمكنه الوصول إلى درجة
سيدنا عيسى عليه السلام ، أو درجة الملائكة المكرمين

فإن توهم واهم ممن قد لعب بعقله شيطان الجن أو شياطين
الانس وما أكثرهم فقال إن هذا قياس باطل ، لأن المسلمين
لا يعبدون الصور ولا الأصنام ، فنحن لا نرد عليه بأكثر من
أن تكلفه الذهاب إلى أي ضريح شاء من الأضرحة المشهورة
ليرى بعيني رأسه كيف أنهم قد وضعوا فوق القبر صندوقاً ضخماً
ذا رأس معمم بهامة تمثل عمامة المدفون تحت ذلك الصندوق ،
وقد يقلدونه سبحة في عنقه ليكون أدعى إلى جلب الناس إليه ،
وإلى عبادته فيستعظمونه ويتوسطون به إلى الله

وهذا لاشك هو عين ما كان يفعله المشركون ، وذلك كما
 حكاه الله عنهم في عدة آيات تقدم تفسيرها عن الرازي والبيضاوي
 بما يطابق ماقررناه تماما من عدم الفرق بين جهلة المسلمين وبين
 دين جهلة المشركين الاولين ، عياذاً بالله من اختراع فروق بينهما
 لا تطابق الواقع .

(ت ص ١٣) قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله
 أحداً) قال ابن كثير في تفسيره (ج ٩ ص ١٨) :
 يقول تعالى آمراً عباده أن يوحدوه في محالّ عبادته ،
 ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة : كانت اليهود
 والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعتهم أشركوا بالله ، فأمر الله
 نبيه ﷺ أن يوحدوه وحده اهـ

قلت: وهذا التوجيه هو الذي بعث الله به جميع الرسل
 بالدعوة اليه . قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا
 نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) فالذي يدعوا الاموات ،
 ويعتقد أن ذلك دعوة الرسل ودينهم يكون لا محالة . ففترى عليهم
 وعلى الله ، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم

هذا وقد اعترف الشيخ علي القاري الحنفي بأن دين المشركين
 هو النشع والتوسط بالانبياء وغيرهم من المخلوقات حيث قال في
 بدء الاماني ص ٣٠ ما نصه :

فالكفار لم يكونوا شاكين في وجود الصانع ، وإنما كفروا
بتمدد الآلهة ، متعللين بأن هؤلاء شفعاؤنا عند الله . وقد وافقه
على هذا الاعتراف جميع المفسرين قاطبة من الأولين والآخرين
وأما مغالطة بعض الجبهة بأن نحو آية (مانعبدكم إلا ليقربونا
إلى الله زلفى) إنما نزلت في حق المشركين ، فلا يشمل حكمها من
يتخذ الوسائط من المـلـامـين بزعمه . فيقال لهذا الجاهل بـتـفـسـير هذه
الآيات : ان المفسرين الذين ترضاهم وترجع إلى أقوالهم في عامة
دينك مثل تفسير الـمـيـضـاوي والـرازي والـخـازن قد خالفوا قولك ،
حتى صرح الـرازي في تفسير قوله تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) بقوله : ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق
بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم إذا عظموا قبورهم فإنهم
يكونون لهم شفعاء عند الله . اهـ

وهذا نص صريح لا يقبل التحريف ولا التـؤـويل في أن
الرازي يعتقد أن تعظيم القبور ودعاء أهلها وطلب الشفاعة منهم
والتوسط بهم ، كفر صريح مخرج من الملة الإسلامية ، وان فاعل
ذلك كافر وإن زعم أنه متمسك بالدين الاسلامي ، لان الدين
الشركي الوثني الذي حكاه الله عن المشركين لا يختلف باختلاف
مزاعم العاملين به وعقائدهم الشيطانية ، بحيث أنه تارة يكون
دينا إسلامياً إذا زعم زاعم أو اعتقد جاهل بأنه دين الاسلام ،

وقارة يكون ديننا وثنياً تبعاً لاعتقاد الجبهة : وهو في نفسه دين واحد ، فان هذا لا يقوله عاقل يفهم ما يقول . وما هذا إلا تلاعب في الدين ، وهو أحد الأسباب التي منعت غير المسلمين من الدخول في الاسلام ، بل وساعدهم على تفشى هذا الاتحاد الهائل الذي كاد أن يعم لدرجة أصبح معها المولود من أبوين مسلمين غير واثق بصحة الدين الاسلامي ، الأمر الذي جرأ كثيراً من أمثاله لأن يكون من أعداء هذا الدين ، بل وكان سبباً أيضاً لجلب كثيراً من الرزايا التي حلت بالاسلام ، وستضعف هذه الرزايا إن لم يتب ويرجع المسلمون إلى رشدهم ، ويتعلموا حقيقة أوامر الله تعالى ويعملوا بها

على أنه يقال لمن يزعم أن تلك الآيات نزلت خاصة في المشركين أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . وذلك باتفاق الحنفية والشافعية معاً ، فبعضها يعم غير المشركين بعموم العلة والسبب وبعضها يعم بعموم اللفظ كآية (فلا تدع مع الله أحداً) ولذلك قال ابن كثير في تفسيرها :

يقول تعالى آمراً عباده — فلم يقيد كلمة العباد بالمشركين ، لأنها شاملة لهم ولغيرهم ، كما أن كلمة « أحد » نكرة واقعة في سياق النهي تنفيذ العموم ، والنهي عن دعاء كل أحد غير الله . اهـ وأما قوله « أو نحو ذلك » فالمراد به الدعاء بدواتهم أو بجاههم في تفرج الكربات وقضاء الحاجات ، وهذا كله باطل

أيضا عند جميع المجتهدين كما مر بك النقل عن أبي حنيفة رحمه الله
قائلا إنه لا ينبغي أن يدعى الله إلا به . ومن المعلوم أن كلمة لا ينبغي
معناها « لا يجوز »

قال في شرح الهداية في باب الحظر والاباحة (ج ٢ ص ٤٧٣)
ويكره أن يقول في دوائه : بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك اه
ومثل هذه النقول متلقاة بالقبول من جميع علماء الحنفية
المؤلفين في المذهب ، وقد نقلوها في أكثر كتبهم المعتبرة من
غير إنكار لها ، ولا تأويل لمعناها . فلا داعي بعد ذلك لأن
يرمى القائل بها - بالوهابية أو ينزج بها ، إذ يلزم من ذلك أن
يكون أبو حنيفة وأصحابه وهابيين ، وهذا لا يقوله عاقل يفهم
ما يقول . إذ من المعلوم أن الوهابية لم تكن إلا بعد الحنفية
بأكثر من ألف سنة ، ولم يكن اتفاقهما في بعض الأمور إلا اتباعا
لما أمر الله به ورسوله

(ت ص ٨) أما الاستغاثة بأهل القبور فهي طلب العون
منهم أي العون والنصرة والتخليص من كربة إما بطلب ذلك
منهم مباشرة ، أو من الله بواسطتهم ، كأن يأتي ذو الحاجة
إلى قبر نبي أو غيره ثم يناديه بقوله يا نبي الله أو يا ولي الله ، أطلب
منك وأنت تطلب من الله . أو ما يضاهي تلك العبارات ، فجميع
ذلك عبادة لهم واستعانة بهم دون الله فيما لا يقدر عليه إلا الله

وحده ، وقد أطبق جميع المفسرين الذين فسروا (إياك نعبد وإياك
نستعين) على أن المعنى : لا نعبد غيرك ولا نستعين بأحد سواك .
فالمستغنى بأهل القبور مع كونه مخالفاً لجميع المفسرين ،
وكونه على غير دينهم فهو كاذب لا محالة بقوله (إياك نعبد وإياك
نستعين) شاء أم أبي ، أقر بذلك أم لم يقر . لأنه متدلل لهم
بالفعل ، راجعاً منهم العطاء والاسعاف ، خائفاً امتناعهم عن إجابة
مطلوبه ، وذلك تكذيب بقوله (إياك نعبد) كما أنه كاذب أيضاً
في قوله : أشهد أن لا إله إلا الله ، لأن من جملة معنى هذه الشهادة
أعلم وأتيقن أنه لا يستحق ولا يجوز التدلل والاستعانة والرجاء
والخوف إلا لله ومن الله وحده ، وقد تقدم تفصيل ذلك

(ت ص ١٢) الفرق بينهما أن الأول يتضمن الحب الذاتي ،
والفقر الذاتي ، ورؤية النعم من المعظم ، واعتقاد أنه متصف
بصفات الكمال ، ومنه يصدر الاحسان بالاستقلال ، وأن لا قدرة
على جلب نفع أو دفع ضرر ، قدرة خارقة عن قدرة المخلوقين عموماً
فالتعظيم إذاً نشأ عن هذه الأسباب ونحوها فهو تعظيم عبادة
وهو شرك ممنوع منه شرعاً بخلاف الثاني ، أعنى به تعظيم الأكرام
فانه لا ينشأ عن تلك الأمور التي لا تليق إضافتها إلا لله وحده ،
بل باعته الأمر الشرعي مثل قول النبي ﷺ « فليكرم جاره -
فليكرم ضيفه » فان هذا الأكرام المتضمن لتعظيم ضيفي يعود في

الحقيقة مع ما تضمنه من التعظيم الى الله تعالى الذي أمر به .
والعبد المؤمن يقصد بهذا الاكرام والتعظيم للاضيف «مثلا» امثال
أمر الله بذلك وتعظيمه بالعمل بما أمره ربه به ، فهو متعبد بهذا
لربه لا لهواه ، بخلاف الأول فإنه على العكس ، لأنه غائب لشيطانه
الذي أمره بتلك التعظيمات للمخلوقات ، متبع لهوى نفسه فيما خيلته
له من جلب المصالح ودفع المضار بواسطة تلك الاعمال الشركية

(ت ص ١٠) قال ابن كثير في تفسيره (ج ٩ ص ١٣) وقال
ابن أبي حاتم حدثنا أبي - فذكر سنده عن كردم بن أبي السائب
الانصارى قال : خرجت مع أبي من المدينة في حاجة ، وذلك أول
ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة ، فأنا والمبيت إلى راعي غنم ، فلما
انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم ، فوثب الراعى فقال :
يا غامر الوادى جارك ، فنادى مناد لا تراه يقول يا سرحان ارسله ،
فأتى الحمل يشته حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة ، وأنزل الله على
رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من
الجن فزادوهم رهقا)

ثم قال : وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية
والحسن وسعيد بن جبير وابراهيم النخعي نحوه
قال : وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ هذا الحمل وهو ولد

الشاة ، كان جنياً حتى يرهب الناس ويخاف منه ، ثم رده عليه لما
استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه . انتهى

(تص ١٣) قال الرازي (ج ٥ ص ٤٨) من تفسيره الآية

(ولا تدع من دون الله) ما نصه :

فلا نافع إلا الحق ، ولا ضار إلا الحق ، وإذا كان كذلك

فلا حكم إلا الله ، ولا رجوع في الدارين إلا إلى الله

ثم قال في تفسير آخر هذه الآية - أعني قوله تعالى (فان

فعلت فانك من الظالمين) لان الظلم عبارة عن وضع الشيء في غير

موضعه ، فاذا كان ما سوى الحق معزولاً عن التصرف كانت

إضافة التصرف إلى ما سوى الحق وضعاً للشيء في غير موضعه ،

فيكون ظلماً .

فان قيل : فطلب الشيع من الاكل هل يقدح في ذلك الاخلاص ؟

قلنا : لا . لان وجود الخير وصفاته كلها بايجاد الله وتكوينه ،

وطلب الانتفاع بشيء خلقه الله للانتفاع به لا يكون منافياً للرجوع

بالكافية الى الله

ثم قال في تفسير آية (وان يمسك الله بضرب فلان كاشف له

الا هو) فبين سبحانه وتعالى أنه ان قضى لأحد شراً فلا

كاشف له الا هو ، وان قضى لأحد خيراً فلا راد لفضله البتة

ثم قال : قال المفسرون انه تعالى لما بين في الآية الاولى في

في صيا
غيب مسها
سنة الرضا
، رجوع
الشريعة
الرد له
رجاء دة
محمد صلى
نفس معبود
الذين

صفة الاصنام أنها لا تضر ولا تنفع ، بين في هذه الآية أنها لا تقدر أيضا على دفع الضرر الواصل من الغير ، وعلى دفع الخير الواصل من الغير . ثم قال : قال ابن عباس رضى الله عنه (إن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) يعنى يمرض وفقر فلا دافع له إلا هو

(ت ص ١٦) قال البيضاوى (ج ٢ ص ١٢٢) أى للدلالة على تفرد بالالوهية (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا - على سبيل الفرض - ما استجابوا لكم) لعدم قدرتهم على الانقاذ أو لتبرؤهم منكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يقرون ببطلانه أو يقولون (ما كنتم إيانا تعبدون) اه مختصرا

(ت ص ١٦) قال البيضاوى (ج ٢ ص ١١٧) والمعنى ادعوه في جلب نفع أو دفع ضرر ، ثم أجاب عنهم فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خير أو شر (في السموات ولا في الأرض ، ولا تنفع الشفاعة عنده) فلا تنفعهم شفاعة أيضا كما يزعمون إذ لا تنفع الشفاعة عند الله (إلا لمن أذن له) أن يشفع له لعل شأنه . اه مختصرا
قال في الجلالين (ص ١٨٢) تحت قوله تعالى (ويعبدون من دون الله) أى غيره (ما لا يضرهم) إن لم يعبدوه (ولا ينفعهم) إن عبدوه (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) قال الصاوى في حاشيته : قال أهل المعانى توهموا أن عبادتها أشد في عبادة الله من عبادتهم إياه . وقالوا لسنأ بأهل أن نعبد الله ، ولكن نشتمل

بعبادة هذه الأصنام أى المعبودات من ملك أو نبي أو غيرها
فإنها تكون شافعة لنا عند الله . قال تعالى اخبراً عنهم (ما نعبدكم
الا ليقربونا الى الله زلفى) ثم قال : ان عبادة الله وحده استمرت
من آدم الى نوح ، فظهر فى أمة نوح من يعبد غير الله ، قال تعالى
فى شأنهم (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً) الخ
فأخذوا بالطوفان ، واستمر من يعبد الله وحده الى زمن ابراهيم ،
فظهر فى أمة من يعبد غير الله فأهلكوا بالبعوض ، واستمر من
يعبد الله وحده الى أن ظهر عمرو بن لحي وهو أول من بحر البحائر
وسيب السوائب فى الجاهلية ، الى أن ظهر سيدنا محمد ﷺ . اهـ

وقال أيضاً (ج ٣ ص ٣٦٥) تحت قوله تعالى (والذين اتخذوا
من دونه أولياء) الخ - أى فكانوا اذا قيل لهم من خلقكم ومن
خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقال لهم :
وما معنى عبادتكم الأصنام ؟ فيقولون لتقربنا الى الله زلفى وتشفع
لنا . اهـ ، وقال فى الجلالين فى تفسير قوله تعالى (ان الله لا يهدي
من هو كاذب كفار) أى بعبادة غير الله تعالى ، اهـ

قال الخطيب الشربيني فى تفسيره (ص ٣٥٠) وذلك أنهم
كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات
والأرض ؟ قالوا الله ، فيقال فما عبادتكم لهم ؟ قالوا ليقربونا الى
الله زلفى - أى قربى - وكأنهم قالوا الا ليقربونا الى الله تعالى
تقريباً حسناً سهلاً وتشفع لنا عند الله ، اهـ

قال صاحب الكشف في تفسيره (ج ١ ص ١٦٠) أنداداً
 أمثالا من الأصنام ، وقيل من الرؤساء الذين يدعوهم وينزلون
 على أوامرهم ونواهيهم . ومعنى (يحبونهم كحب الله) أى كما يحب
 الله تعالى ، أى يسوون بينه وبينهم فى محبته ، لأنهم كانوا يقرون
 بالله ويتقربون اليه (فإذا ركعوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين)
 وقال فى تفسير (أشد حباً لله) لأنهم لا يعبدون عنه إلى غيره
 بخلاف المشركين فانهم يعبدون عن أندادهم إلى الله عند الشدائد
 فيفزعون اليه ويخضعون له ، ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه
 فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . اهـ

فهذا تصريح منه بأن اتخاذ الوسائط هو دين المشركين ، وأن
 الشفيع معناه « الواسطة » وقد أنكر الله فى كثير من الآيات اتخاذ
 الشفيع ومعناه إنكاره سبحانه اتخاذ الوسائط ، مع حكمه جل شأنه
 على متخذى الوسائط بالشرك الأكبر المخرج عن ملة الاسلام

وقد وافق الزمخشري فيما ذكره جميع المفسرين

قال فى حاشية الجمل (ج ١ ص ١٣٢) وكانوا مقرين بأن لهذا
 العالم صانعاً مدبراً حكماً كما قال تعالى (ولئن سألتهم من خلقهم
 ليقولن الله) وقد حكى الله عنهم أنهم قالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا
 إلى الله زلفى) اهـ

وقال النسفى (ج ١ ص ٦٥) مثل عبارة الزمخشري آنفاً

أبرموام لأجل الرحمة في اثبات دينهم الحبيث
والاستناد لمحمد صلى الله عليه وآله من جنسية

١١٨

قال الشعراني في اليواقيت (ج ٢ ص ٩٧) فإن المشرك مقرر
بوجود الله لكنه أشرك به اه

وقال أيضا في طبقاته (ج ٢ ص ١٠) وكان الشذلي يقول :
ومن الشرك بالله اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله . قال الله تعالى
(ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) اه مختصرا

فهذا الذنبي أيضا وهو من أكابر علماء الحنفية قد وافق باقي
المفسرين الذين مر ذكرهم - على أن الله أخبرنا عن المشركين
أنهم مع كونهم كانوا مقربين بالله ، وأنهم إنما يلجأون وقت الشدائد
إلى الله وحده ، بمجرد اتخاذهم الوسائط والتقرب بهم إلى الله قد
جعلهم الله مشركين مخلدين في النار . فلم ينفعهم إقرارهم بوجود
الله وبأنه الخالق لكل شيء ولا التجائهم إليه وحده وقت الشدة
فما القول بمن يلجأ إلى غير الله من المخلوقات الأحياء منهم والاموات
في الرخاء وخاصة عند نزول الملمات ، ويشتمد التجاؤ بهم ، ومع
ذلك تجمد من يتبرع في الدفاع عنه ليحشره في أمة محمد ﷺ ولا
حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وزيادة على ما تقدم . قال في حاشية الجمل (ج ٣ ص ٥٨٩) في
تفسير (ما نعبدكم الا ليقربونا) أي يقولون لتقربنا إلى الله وتشفع
لنا عنده اه وذكر نحو هذا البيضاوي (ج ٢ ص ١٤٣) والبقوي
والخازن في تفسيريهما (ج ٢ ص ٥٩) والخطيب الشربيني في تفسيره
(ص ٣٥٠) فإن هؤلاء المفسرين ذكروا في هذه الصحائف وغيرها

نقص

عقل النفس

رأى عصرية

كالزنا

شرب

نفس

وذهب

والرسول

نحو ما قدمنا نقله في تفسير الآيات النازلة في حق المشركين ، لا خلاف بينهم وبين غيرهم من باقي المفسرين في أن المشركين كانوا مقربين بأن الله وحده هو الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف ، مالك الملك ، وإن وسائطهم لا تملك شيئاً مع الله لا عترافهم بأنها مخلوقة لله مملوكة له كما يعتقد المسلمون تماماً لا فرق بين هؤلاء وهؤلاء ، غير أن أولئك لما اتخذوا الوسائط حكم الله عليهم بالشرك والكفر والتخليد في النار

وإذا تأملنا ونظرنا بعين بصيرة منصفة رأينا أن العلة التي حكم الله بسببها على أولئك بالكفر هي عين العلة التي يفعلها كثير ممن يزعم الإسلام ، والإسلام برىء منه ، ألا وهي اتخاذ الوسائط ولكن بصورة أوسع وأبشع من أولئك المشركين

ثم إذا علمنا أن الذي أخبرنا بكل ذلك هو رب العالمين جل وعلا أدركنا عظم غلط أو مغالطة بعض الجلالة الضالين المضلين ، الذين يحاولون نفي الشرك عن المسلم الذي يتوسط إلى الله بنبي أو بمقبور قيل عنه أنه ولي كان يوجد بلحظه واحدة في الف مكان ومكان بروحه وجسده ، أو بمن قيل عنه أنه صالح كان كل أربعين يوماً يفطر مرة واحدة على لوزة واحدة ، زاعمين أن الفرق بين المشركين السابقين والمسلمين اللاحقين هو أن أولئك لا يقرون بوجود الله ، والمسلمون يشهدون أن لا إله إلا الله . أو أن المشركين كانوا يسترفون الله بالخالفية والرازقية الخ ولكنهم كانوا

يتوسطون اليه بالأصنام . وأما الملحون فانهم يتوسطون اليه
بالأنبياء والاولياء . وغفل هؤلاء المغفلين عن معنى آية (قل ادعوا
الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا
أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الخ
أى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دونه أى زعمتم المسيح
وعزيراً والملائكة وأمثالهم من العقلاء وسائط تقربكم إلى الله زلفى
ومعلوم أن هؤلاء ليسو من الأصنام المصنوعة من الجادات

قال البيضاوى فى تفسيره (ج ١ ص ٢٠٧) فى تفسير قوله
تعالى (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) تشفع لنا فيما بيننا
وقال أيضا « ج ١ ص ٢٧٠ » تحت قوله تعالى (قل ادعوا
الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير
(فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض
والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك عنكم إلى غيركم
فأولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة « هؤلاء الالهة
يبتغون الى الله القربة بالطاعة « أيهم أقرب » أى يبتغى من هو
أقرب منهم الى الله « الوسيلة » فكيف بغير الأقرب (ويرجون
رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد ، فكيف يزعمون أنهم آلهة اه
ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لكفت رداً على أولئك
الذين يظنون أن المشركين انما أشركوا لانهم ينكرون وجود الله

أو لأنهم كانوا لا يتقربون اليه إلا بالأصنام المكونة من الجمادات فقط ، وذلك لأن الله قد وصف ما يدعو به المشركون من الشفعاء والوسطاء بصفات العقلاء التي يستحيل وصف الأصنام التي هي جماد بهاء ، وتلك الصفات هي ابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ، وخوف العذاب . ومن المعلوم لدى كل عاقل أن هذه الصفات الثلاثة لا يمكن وصف الصنم والجماد بها

فتمين بالطريق القطعي أن المراد بهذه الآية : شفاعت عباد الله الصالحين كالمسيح والملائكة ، والانسكار على كل من يستشفع بمخلوق من الصالحين وغيرهم بغير إذن من الله ، حتى ولو كان المستشفع مستشفعاً بالانبياء والملائكة ، فما القول بمن يستشفع بمقبورين يظنونهم كانوا من الصالحين بينما آثارهم لا تدل على ذلك فإذا ثبت وتقرر إجماع المفسرين على أن المفهوم من تلك الآيات إنكار الوسائط : أنبياء كانوا أم غيرهم وإن اتخذ الوسائط هو دين المشركين الأولين ، وإن الحاكم بذلك والخبر به هو الله رب العالمين ، فلا يمكن بعد ذلك كله أن يقوم دليل شرعي أو عقلي على خلاف ذلك لأمور :

أحدها : أن الإجماع المذكور مفاده قطعي يمتنع أن يأتي دليل يخالف هذا الإجماع القطعي ، لأن ذلك الدليل المفروض فرض محال إما أن يكون قطعياً أو ظاهرياً ، فعلى الأول يلزم تعارض

القطعيين، وذلك محال ، فالدليل القطعي المفروض وروده محال
 أيضا . وعلى الثاني يجب رد الدليل الظني المفروض معارضته
 للاجماع القطعي ، وذلك لعدم جواز التعارض بين ظني وقطعي
 ثانيها : ان دلالة الايات على ذلك المفهوم قطعية وصدق الخبر
 بها وهو الله تعالى قطعي أيضا ، والاجماع منعقد على ذلك — وهو
 قطعي أيضا ، فيستحيل قطعاً ورود دليل ينقض هذه القطعيات
 الثلاث ، وعلى هذا استحال دلالة ما زعمه المتوسطون دليلاً على أن
 في دين الاسلام وسائط ، وذلك لما يلزم على إمكان صحة دلالة
 أدلتهم المزمومة من الامور المجمع على بطلانها :
 أحدها : تكذيب الايات الحاكمة بأن التوسط بالانبياء
 ونحوهم شرك وضلال

ثانيها : تكذيب الخبر وهو الله تعالى فيما حكاه عن المشركين
 بأن ذلك التوسط هو دينهم لا دين المسلمين
 ثالثها : حصول تناقض النبي ﷺ لنفسه ، وذلك في نهيه
 المشركين عن التوسط مع إباحته للمسلمين وإثبات فضيلته في دينهم
 « وذلك على زعم بعض الجبهة »

وإنما كان هذا تناقضاً لتوارد النفي والاثبات على شيء
 واحد ، وعلى لسان رسول واحد ، ومعلوم أن ذلك لو أمكن
 وقوعه — لا يصح الله — لبطل الدين الذي جاءنا به هذا الرسول
 الأمين ﷺ فكيف وان الواقع والثابت هو أن النبي ﷺ

حارب القائلين بجواز التوسط أو استحبابه . وعلى هذا فلا مفر
للمتوسطين بالأموات أو الأحياء من إلزامهم بهذه اللوازم ونحوها
فهم متحملون مسئوليتها أمام الله

ومن المعلوم القطعي أن الذي تلزمه هذه اللوازم ولو بفعل
التوسط من غير إلزامه بها هو من أكفر الكفار ومن الخارجين
عن ملة الاسلام ، كما أنه من المعلوم أن المتوسط الذي تلزمه هذه
اللوازم يستحيل جعله على شريعة نازلة من الله تعالى لما يلزم على ذلك
من نقض أديان المرسلين وتكذيبهم ولزوم دعوتهم الخلق إلى
دين باطل متناقض

وبهذا تسقط جميع الأدلة التي يستدل بها المتوسطون زاعمين
دلائلها على دينهم الباطل . وذلك مثل استدلالهم بآية (وابتغوا
اليه الوسيلة) وآية (واستغفر لهم الرسول) وحديث توسل آدم
المكذوب ، كما صرح الذهبي بأنه حديث موضوع لأصله

(ت ص ١٣) أقول : قد علم من جميع ما نقلناه عن المفسرين
المعتبرين لدى أرباب المذاهب كالبيضاوي ومحشيه شيخ زاده ،
والزسفي والرازي والجلالين والصاوي والجل والبنوي والنازن :
أنهم جميعاً متفقون على ما ذكره المصنف من أن الاستمداد وطلب
المعونة فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ومن اتخاذهم وسطاء وشفعاء
هو بعينه دين الكفار وعباد الأوثان ، كما علم من ذلك أيضاً أن

جميع المفسرين يدينون الله بذلك . ويكون ذلك مدلول الآيات التي فسروها بذلك ، وكذلك غيرهم من المفسرين مثل ابن جرير وابن كثير ، فان نقول أنهم وتصريحهم أكثر وأصرح في كون هذا التوسط هو دين الكفار ، كما أن تفسير ابن جرير لم يقتصر على أن ذلك دين المشركين الأولين من قبل نفسه ، بل أضاف الاعتقاد بذلك إلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وإلى خاتمهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وإلى جميع الصحابة والتابعين . كل ذلك بالأسانيد المتكررة ، والأحاديث النبوية . وكذلك فعل غيره من أئمة الحديث

ومن كان في شك من ذلك فعليه مراجعة ما ذكرناه من التفاسير ليتأكد بنفسه أن ما يزعمه بعض الجبهة من أن الوهابيين قد انفردوا بهذا الاعتقاد إن هو إلا محض افتراء واختلاق ، فهذه كتبهم بين أيدينا تثبت لكل منصف بأن قولهم ودينهم في الحكم على التوسط بأنه شرك أكبر موافق كل الموافقة لقول جميع المفسرين ودينهم .

هذا مع العلم بأن من بين هؤلاء المفسرين من له المقام الرفيع وخاصة عند المقلدين الذين يعتمدون كل الاعتماد على تفاسيرهم ، ومنها يتلقون دينهم . فأين يذهبون إذاً وإلى أي تفسير يرجعون إن لم يرجعوا إلى هذه التفاسير ؟ فليرشدونا إلى تفسير على وجه

الأرض فيه مخالفة لهؤلاء المفسرين في هذه المسألة لنظمتهم على أن
ما ظنوه مخالفة إن هو في الحقيقة الا موافقة ، ولكنهم غلطوا فيما
ظنوا وحسبوا .

ولو فرضنا أن الإنكار منهم يتأتى على الوهابية في تلك
المسألة فأنى وكيف يتأتى لهم الإنكار على مفسريهم ومعتقديهم
مع كونهم يدينون الله في صحة تفاسيرهم ؟ فلا مفر لهم إذن ولا
محيص . فقد ضاع الخناق وعظم المصائب وفات ما فات وإلى الله
المرجع والمآب . فعليهم أن يتداركوا ما هو حاضر وما هو آت .
فالدين الحق والتوحيد الخالص هو دين الله . وما الوهابيون
وتابعوهم إلا دعاة إلى دين الله الخالص لا إلى دين اخترعوه ، كما
يزعم بعض المفتريين عليهم من المفرضين الذين قد أضلهم الله على
علم بسبب بغيتهم وجهلهم والله المستعان

هذا ومن أصر على عماه قائما يضر نفسه ، ويلقى بها إلى
دركات الهاوية ، أما جهله وعناده وعماده وتقليده لآبائه وأمثالهم
من أشباه العوام والأنعام وإن ارتدوا لباس العلماء فلا ينفعه
شيئاً ، ولا ينجيه من تلك الدركات الساحقة ، فلقد جاء الحق
وزهق الباطل ، فلم يبق طريق إلى المنازعة ، بل تعين الاعتراف
بأن دين الوسائط — مهما تكن تلك الوسائط — فيما لا يقدر عليه
إلا الله ، ماعدا الشفاعة في عرصات القيامة التي تكون بأذن الله —

في انظار
عبادة
القبر

دين وثنى لا يمكن بوجه أن يكون ديناً إسلامياً ، إذ هما ضدان لا يجتمعان . ورجاؤنا منهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، ويستيقظوا من رقادهم . وإلا فليعلموا أن الله سبحانه قد هباً طائفة ظاهرين على الحق مؤيدة بتأييد رباني وإمداد إلهي ، يذبون عن هذا الدين وعن إحالته إلى دين وثنى ، لا يخافون في الله لومة لائم . قد بذلوا أنفسهم وأموالهم إلى أقصى غاية في سبيل نصرة الدين الحنيف . ولديهم من الحجج الدامغة أضعاف ما في هذه المجالة ، ولا تخفى عليهم أى شبهة يوردها المعارضون مهما بذلوا في تنميقها وصقلها .
نويراً على السذج والدهماء ، وتلبيساً على البسطاء

وهأنحن والحمد لله نرى تلك الطائفة المباركة عقدت الخناصر على هدم تلك التزويرات ففضحتها بموج من التاليفات ما تقر به أعين المؤمنين ، وتضمحل أمامها همم المعارضين ، وتضعف قواهم عن رد بعضها فضلاً عن كلها

فالامر إذاً يسير إلى التمام وإن كره المعارضون . فليعدوا ما يوحيه اليهم شياطين الانس والجن فلن تنفع عدتهم أمام حجج الله الدامغة وبيناته المتكاثرة .

(ت ص ١٦) قال الرازي في تفسيره « ج ٧ ص ٢٦٧ » واعلم أن الكفار أوردوا سؤالاً فقالوا نحن لا نعبد هذه الأصنام لاعتقاد أنها آلهة تضر وتنفع ، وإنما نعبدها لأجل أنها تماثيل لأشخاص

أنا
أنا
شرع
عبارة
القبور
والشرط
بها

كانوا عند الله من المقربين ، فنحن نعبدها لاجل أن يصير أولئك
 الاكابر شفعاء لنا عند الله . فأجاب الله تعالى بأن قال (أم اتخذوا
 من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون)
 وتقرير الجواب أن هؤلاء الكفار إما أن يطمعوا بملك
 الشفاعة من هذه الأصنام أو من أولئك الزهاد الذين جعلت هذه
 الأصنام تماثيل لها . والاول باطل ، لان هذه الجمادات وهي
 الأصنام لا تملك شيئاً ولا تعقل شيئاً فكيف يعقل صدور الشفاعة
 عنها . والثاني باطل لان في يوم القيامة لا يملك أحد شيئاً ولا يقدر
 أحد على الشفاعة الا بأذن الله ، فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله
 الذي يأذن في تلك الشفاعة ، فكان الاشتغال بعبادته أولى من
 الاشتغال بعبادة غيره . وهذا هو المراد من قوله تعالى (قل لله
 الشفاعة جميعاً)

ثم بين أنه لا ملك لأحد غير الله بقوله (له ملك السموات
 والارض ثم اليه ترجعون) انتهى كلام الرازي

فهل ثمة من يقول إن الرازي كان وهابياً ؟ إنها لا تعمى الابصار
 (ت ص ١٧) قال الرازي في تفسيره « ج ٢ ص ٦٢٣ » تحت
 قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) مانصه :
 اعلم أنه تعالى وصف اليهود والنصارى بضرب آخر من
 الشرك بقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الخ

وفي الآية مسائل - فذكر المسألة الأولى ثم قال :

المسألة الثمانية : الأكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب أنهم اعتقدوا فيهم أنهم آلهة العالم ، بل المراد أنهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم . روى أن عدي بن حاتم كان نصرانيا ، فأنهى إلى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة فوصل إلى هذه الآية قال : فقلت : لسنا نعبدهم . فقال ﷺ « أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ؟ » فقلت بلى ، قال فتلك عبادتهم

وقال الربيع : قلت لأبي العالمة : كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل ؟ فقال إنهم ربوا وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الاحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله . انتهى

وكثير من المقلدين يزعمون أن جميع هذه الآيات وأمثالها إنما نزلت في حق أولئك الكفار والمشركين ، فلا يجوز البتة تطبيقها في حق المسلمين ، وإذا كان الأمر كما يزعمون فرجاؤنا أن يخبرونا عن مراد الله من إنزالها : فهل كان مجرد التسمية أم للتبرك والحرز من الافات ؟ أم ماذا ؟ هداانا الله

قال تعالى (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا

فأضلونا السبيلا) الآية. قال الرازي في تفسيرة (ج ٦ ص ٨٠٠)
 يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، فيمتحسون ويندمون
 حيث لا تغنيهم الندامة والخسرة لحصول علمهم بأن الخلاص ليس
 إلا بالطاعة ثم يقولون (إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا) بمعنى بدل طاعة
 الله تعالى أطعنا السادة، وبديل طاعة الرسول أطعنا الكبراء وثر كنّا
 طاعة سيد السادات، فبدلنا الخير بالشر، فلا جرم فأتينا خير
 الجنان، وأوتينا شر الفيران.

ثم إنهم يطلبون بعض التشفي بتمذيب المضلّين ويقولون
 (ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً) أى بسبب
 ضلالهم وإضلالهم. اهـ

في محذوف
 في الطبع

(ت ص ١٦) قوله «أقول ويدخل فيما ذكرناه» أى في
 تحريم ما أحل الله ونحوه من اتخاذ الرؤساء أرباباً في الأمور
 الاعتقادية القطعية كتسوية الاستغاثة بأهل القبور وتقليد
 الرؤساء ومتابعة الآباء في تجويز ذلك ونحوه

في محذوف
 كذا

(ت ص ١٦) قوله «الذين يفتنون بحكم من الأحكام مما
 لا يوافق شيء منه كتاب الله» الخ يريد بذلك ما لم يكن عن اجتهاد
 سائغ. فان أخطأ مع بذل جهده واستظاعته في طلب الدليل
 ونحوى الحق فلا يدخل فيما ذكره المصنف من الحكم عليه بالكفر
 واللعن بل يستحق الأجر الواحد فقط

(ت ص ١٧) قوله « فان جميع الرؤساء والتابعين لهم تقليداً » الخ . ولا يندر هؤلاء بالجهل والتقليد لتقصيرهم في طلب الحق الماتلق بالمسائل القطعية الاعتقادية . دليل هذا ما قاله إمام الحرمين في الورقات وتارحه المحلى ، وهذا نص عبارتيهما . من شرح الورقات « ص ٢٣ » قال :

وأما الاجتهاد فهو بذل الوسع في بلوغ الغرض المقصود من العلم ليحصل له . فالجهد إن كان كامل الآلة في الاجتهاد : فان اجتهاد في الفروع فأصاب فله أجران على اجتهاده وإصابته ، وإن اجتهاد فيها وأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده . وسيأتى دليل ذلك

ولا يجوز أن يقال كل مجتهد في الأصول الكلامية (أى العقائد) مصيب) لأن ذلك يؤدي إلى تصويب أهل الضلالة من النصارى والمجوس والكفار والملحدين (في نفهم صفاته تعالى كالكلام وخلق أفعال العباد ، وكونه مرتباً في الآخرة ونحوه) ودليل من قال : ليس كل مجتهد في الفروع مصيباً قوله صلى الله عليه وسلم « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد » وجه الدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم خطأ المجتهد تارة ، وصوبه أخرى . والحديث رواه الشيخان . اهـ

وبما قدمناه من النقل عن الرازي والبيضاوي يعلم قطعاً أنهما موافقان المصنف على ما حكم به بما يوافق تصريح الرازي في حكمه

لا
رسمه صح دينة

٨
الرداء
في النقل
الحمد لله
في صحة
الكتبة
الحمد لله
دوسم
عاشه
القدس
صحة
غيباً

بكفر أولئك الذين كفرهم المصنف . وهذا تصريح الرازي في تفسيره « مفاتيح الغيب » الشهير بالتفسير الكبير (ج ٤ ص ٦٢٣) في آخر كلمة من هذه الصحيفة ما نصه قال :

قال شيخنا خاتمة المحققين والمجاهدين رضى الله عنه : قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى في بعض المسائل ، وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات ، فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها ، وبقوا ينظرون إلى كالمتمعجب . يعنى كيف يمكن العمل بظواهر الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها

ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الأكثرين من أهل الدنيا

فإن قيل : إنه تعالى لما كفرهم بسبب أنهم أطاعوا الأحرار والرهبان ، فالفاسق يطيع الشيطان ، فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج .

والجواب : أن الفاسق وإن كان يقبل دعوة الشيطان إلا أنه لا يعظمه لكن يلعنه ويستخف به . أما أولئك الأتباع كانوا يقبلون قول الأحرار والرهبان ويعظمونهم ، فظهر الفرق ، اهـ
قال السيوطي في كتابه « الأكليل في استنباط التنزيل » :
قوله تعالى (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا

عليه آباءنا) فيه إبطال التقليد اهـ

وقال السيد صديق خان الهندي في تفسيره فتح البيان « ج » ص ١٩٤ « وفي هذه الآية من الذم للمقلدين والنداء بجهلهم الفاحش ، واعتقادهم الفاسد ما لا يقدر قدره ، حيث عارضوا الدلائل في التقليد . ومثل هذه الآية قوله تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) الخ . يعنى من التحريم والتحليل . وفي ذلك دليل على قبح التقليد والمنع منه ، والبحث في ذلك يطول

قال الرازى في هذه الآية تقرير هذا الجواب من وجوه :
أحدها : أنه يقال للمقلد بأن شرط جواز تقليد الإنسان أن يعلم كونه محققاً أم لا ، فإن اعترفت بذلك لم تعلم جواز تقليده إلا بعد أن تعرف كونه محققاً ، فكيف عرفت أنه محقق ؟ وإن عرفته بتقليد آخر لزم التسلسل ، وإن عرفته بالعقل فذلك كاف فلا حاجة إلى التقليد

وإن قلت ليس من شرط جواز تقليده أن يعلم كونه محققاً ، فإذا قد جوزت تقليده وإن كان مبطلاً ، فإذا أنت على تقليدك لا تعلم أنك محق أو مبطل

وثانيها : هب أن ذلك المتقدم كان علماً بهذا الشيء إلا أنا لو قدرنا ذلك المتقدم ما كان علماً بذلك الشيء قط وما اختار فيه

البيعة مذهباً فأنت ماذا كنت تعمل ؟ فعلى تقدير أن لا يوجد ذلك المتقدم ولا مذهبه كان لابد من العُدول إلى النظر ، فكيف هذا ههنا .

ونالها : إنك إذا قلت من قبلك فذلك المتقدم كيف عرفته ؟ أعرفته بتقليد أم لا ، فإن عرفته بتقليد لزم إما الدور وإما التسلسل ، وإن عرفته بغير تقليد بل بدليل فاذا أوجبت تقليد ذات المتقدم وجب أن تعلمب العلم بالدلائل لا بالتقليد لأنك لو طلبت بالتقليد لا بالدليل ، مع أن ذلك المتقدم طلبه بالدلائل لا بالتقليد كنت مخالفاً له .

فثبت أن القول بالتقليد يفضي ثبوته إلى نفيه فيكون باطلاً .
اه ما نقله عن الرازي

وقد أفاد كلام السيوطي المتقدم وكلام الرازي اعترافهما بأن الله سبحانه قد أبطل التقليد وجعله تعالى دين المشركين ، فنحن نتحدى جميع المقلدين في التصدي لا بطلان ما أفاده كلام الله وكلام السيوطي والرازي بأن يبذلوا كل ما لديهم من تحريف وتلبيس وحيل شيطانية ، لكي يضاعفوا على أنفسهم أوزارهم ونقماتهم ، وأوزار من يقلدوهم على ضلالهم هذا ، فإن عجزوا عن ذلك ولم يرضوا لأنفسهم أن يكونوا من قسم الضالين المضلين ، فالواجب عليهم أن يتوبوا ، لكن توبتهم تنوقف على بغض التقليد والمقلدين ، واعتقاد أن التقليد دين المشركين ، وأنهم حين

كانوا مقلدين معتقدين أن التقليد أمر مشروع قد شرعه الله لعباده المسلمين ، وأكمل لهم دين التقليد بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم) قد قلبوا دين المسلمين إلى دين المشركين الذي هو التقليد ، وافتروا على الله بأنه رضىه ديناً اسلامياً حين أن الله قد حرمه وحكم عليه بأنه دين المشركين ، فالواجب على الثائب منه أن يعترف بأنه قد كان كاذباً مفترياً على الله وعلى آياته في كل قراءة اعتقه فيها تنزيل نحو تلك الآية التي استدلل بها المخرفون وهي آية (فاسألوا أهل الذکر إن كنتم لا تعلمون) على دين المقلدين الذي دان هو به مدة طويلة ، ونزل الآيات التي حكم الله فيها بصحة الدين الخفيف على دينه المذكور

وإذا كان مع ذلك قد استدلل على صحة التقليد ووجوبه بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذکر إن كنتم لا تعلمون) يكون حينئذ ناسباً التناقض إلى الله في كلامه ، لأنه يكون المعنى على زعمه : فقلدوا غيركم إن كنتم لا تعلمون ، فيكون في هذه الآية أمر بالتقليد وفي الآية المتقدمة نهي عنه وبيان أنه دين المشركين . وهذا تناقض ، ومن نسب التناقض إلى الله فقد كفر ، فيكون لا محالة والحالة هذه ناسباً هذا التناقض إلى الله في كل قراءة قرأ الايتين المذكورتين ، وذلك جرم عظيم ملزم به العبد وإن لم يشعر به ، ولا يصح إيمانه ما لم ينزه الله عنه .

فان قيل : ان بعض الناس لا يقدر على الاجتهاد
 فالجواب : ليست جميع المسائل الدينية تحتاج الى اجتهاد ،
 بل منها ما هو ظاهر يفهمه كل أحد ، لاسيما المسائل الاعتقادية
 القطعية إذا اقتصر على أخذها من الكتاب والسنة من غير تحريف
 ولا تأويل ، وعلى غير الأصول الكلامية ، والقواعد الفلسفية ،
 وأما الفروع العملية فأكثرها أيضا مصرح به في الأحاديث النبوية
 وقد جمعها علماء الحديث على أبواب الفقه وشرحوها ووضحوها ،
 وبينوا الصحيح من الضعيف . فليس على الانسان مهما كان بليداً
 إلا أن يطالع ذلك بهمة وعزيمة قوية ، أو يسأل من يقرأ ذلك
 عليه أن يوضح له معانيها وما يشكل عليه منها

فاذا وصل بعض الناس إلى درجة البهائم لا يسمع ولا يعقل
 فالذنب منه حيث أهمل دينه واهتم بدنياه ، فانتقم الله منه بسبب
 ذلك بأن جعله على تلك الحالة . فعليه أن يتوب عن تلك
 الأسباب التي أوقعته إلى حالة العجاوات حتى يعود إليه سمعه وبصره
 وقلبه وإلا فهو من الهالكين

فان قيل : مهما فعل العبد العاصي من بذل الجهد فيما ذكرت
 لا يصل الى درجة المجتهدين

فالجواب : يجب عليه أن يسأل عن دليل المسئلة ويعطى كليمته
 الى فهم ذلك ، ويستعين ويستغيث بالله استغاثة المضطر ، فان فهم

الحليل فيها والا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها . وهذه طريقة
موسطة : طريقة الاتباع ليس فيها تقليد ولا اجتهاد .

وحيث أبطلنا التقليد برمته يجدر بنا أن نتكلم عن الشفاعة
الغير المشروعة في عدة فصول لا يستغنى عنها وقل أن تجد لها في
كتاب على التفصيل أعاماً للفائدة فأقول وبالله التوفيق :

قال العلامة السويدي في العقد الثمين ونقل الحنفية عن بشر بن
الوليد أنه قال سمعت أبا يوسف يقول قال أبو حنيفة رضي الله عنه
لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به .

قال : وفي جميع متونهم أن قول الداعي المتوسل : بحق
الانبياء والرسل وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم
وقال القدوري : المسئلة بخلقه تعالى لا تجوز . انتهى

(فصل) قال العلامة المذكور : ولئن قلت ان النبي ﷺ
مأذون بالشفاعة ونحن نطلبها ممن هو مأذون فيها

فالجواب : أنه ﷺ الآن موعود بالشفاعة ووعد الله بحق ،
لكن من شروطها أن تكون بعد الاذن ورضاه عن المشفوع فيه ،
فلا تطلب منه الآن ، ولو كانت تطلب منه الآن لجاز لنا أن نطلبها
أيضاً ممن وردت الشفاعة لهم كالقرآن والملائكة والأفراط والحجر
الأسود والصالحين . ولجاز لنا أن ندعوهم ونلتجىء اليهم ونرجوهم
بهذه الشفاعة ، إذ لا فرق بين الجميع بالثبوت والاذن . اهـ

أقول في توضيح السؤال والجواب :

أما السؤال فزعم قائله أن الله سبحانه قد قال لنبيه محمد ﷺ إني قد أذن لك في الشفاعة يوم القيامة ، ولو وقع ذلك لصدق قوله أنه ﷺ مأذون بالشفاعة . أجاب المجيب بأن هذا القول لم يقع بعد من الله تعالى ، وأما إخباره صلى الله عليه وسلم في الحديث الشفاعة بأن الله سبحانه سوف يأذن له بها يوم القيامة فذلك حكاية حال سوف تقع تتضمن الوعد بوقوع الأذن حينئذ وبعد أن يقول الله له : ارفع رأسك واشفع تشفع : يسمى إذ ذاك مأذونا له في الشفاعة . أما الآن فلا

(فصل) وعلى تقدير أن يكون ﷺ مأذونا الآن بالشفاعة يوم القيامة ، فما الذي يفيده السائل في تحصيل مطلوبه ؟ فإن النزاع في كونه ﷺ مأذونا بالشفاعة في البرزخ لا يوم القيامة ، وهل يلزم من كونه ﷺ مأذونا بها إذ ذاك أن يكون مأذونا بها اليوم ؟ هذا مما لا قائل به .

فإن قيل : نقول به بالقياس على يوم القيامة

فيل لا يصح ذلك لوجوه :

أما أولا : فإذا قال لك ملك مخلوق سوف أعطى إذنا لك بالدخول على في يوم العيد ، هل يمكنك أن تدخل عليه كل يوم جمعة مثلا بالقياس على ذلك الوعد ، وهل يعد ذلك جرأة على الملك أم لا ؟

فإذا كان الدخول عليه كل جمعة يعتبر جرأة وهو عبد مخلوق ،
فكيف لا يعد جرأة على ملك الملوك ؟

نم ان الرسول الأعظم الذي هو أعرف الخلق بجلاله وعظمته
وما يليق به من الأدب كيف يمكن أن يفعل نظير ذلك الفعل —
أعني الاستشفاع للخلق اليوم استناداً منه ﷺ على قياس وعد
الله له بالشفاعة يوم القيامة ؟

نم نقول على تقدير ان هذا القياس ليس فيه جرأة ولا إساءة
أدب مع الله جل جلاله حسب عقولنا ومقتضى قصور معرفتنا
بجلال الله ، وما يذني له سبحانه ، فقد يكون في ذلك أعظم الجرأة
وإساءة الأدب بالنظر إلى معرفة الرسول ﷺ بربه ، فانه لاشك
ان معرفتنا بالله أقل من معرفة الرسول ﷺ بربه سبحانه ، فإذا
احتمل أن في ذلك أذى جرأة ولو باحتمال ضعيف كيف يجوز لنا
أن ننسب ذلك الفعل المحتمل لإساءة الأدب إلى الرسول ، بعد
ما أخبرنا أنه ﷺ أعرفنا بالله وأخسانا له

وبعد التأمل في هذا كما يذني يظهر لكل مسلم منصف عظيم
هذه النسبة مع مافي ذلك من لزوم التقول عليه ، فانه على تقدير
عدم تسليم تلك الجرأة يحرم ذلك أيضاً ، حيث أننا ننسب اليه
أنه يفعل فعلاً لم يخبرنا بحديث صحيح أنه يفعل ذلك اليوم في البرزخ
والعلماء قد أجمعت على حرمة الكذب عليه ﷺ ، فلا يخرج من

ذلك إلا بذكر حديث صحيح يأمرنا فيه أو يجوز لنا فيه الاستشفاع
به ﷺ بعد الوفاة

(فصل) يتضمن حديث الشفاعة أموراً : منها خطاب بعض
الخلق للأنبياء في طلب الشفاعة منهم شفاها . وهذا يتعذر في الدار
الدنيا في حق البعيد عن قبورهم ، حتى بعد الاعتراف بأنهم أحياء
في قبورهم ، لأن ذلك يتضمن علمهم بأحوال العباد شرقاً وغرباً
كما يقتضى أنهم يسمعون من يطلب منهم الشفاعة ولو كان بعيداً
عن مراقبهم مسافة مائة سنة مثلاً . وهذه الصفات لا تكون إلا
لرب العالمين .

أما مسألة بلوغ الصلاة على نبينا ﷺ خاصة إليه ، فذلك
ليس بطريق سماعه لها من عموم الخلق بنفسه ، بل بواسطة ملائكة
موكبين لتبليغ صلاة المصلين إليه ﷺ ، فكيف يصح بعد ذلك
القياس على الشفاعة يوم القيامة مع هذه الفروق وما تضمنها من
إعطاء صفات رب العالمين المختصة به إجماعاً إلى جميع الأنبياء
 والمرسلين والعباد الصالحين ، فإن ذلك يحتاج أن يبتنى على قياس
آخر أفسد من الأول بأن يقال :

نحن نقيس سماع جميع الأنبياء ما عدا نبينا على سماع نبينا
ﷺ للصلاة عليه أو نقيس على سماع كلام المخاطبين لجميع من في
البرزخ عند مراقبهم — سماعهم لمن يتوسل بهم بعيداً عن مراقبهم

كأنه
دينه

في أقطار الأرض . فيقال : هذه الأقيسة من أفسد : قياس لقيام
المانع منها من عدة وجوه :

الوجه الأول : إن هذه المطالب ليست مما تثبت بالقياس
الثاني : أن المقيس عليه في القياس الأول باطل كما تقدم من
كون نبينا ﷺ لم يسمع بنفسه الصلاة عليه بل بواسطة تبليغ
الملائكة كما قد ثبت في الأحاديث

الثالث : أن هذه الأقيسة تتضمن اتصاف المخلوقين بصفات
الخالق التي لا تكون مقدورة للبشر في دار من الدور وزمان من
الزمنة ، التي يجب على كل مسلم اعتقاد استحالة اتصاف المخلوق
بها بوجه من الوجوه ، لأنها مقصورة على الخالق جل شأنه . إلى
غير ذلك من الموانع التي تظهر بالتأمل الدقيق وبالله التوفيق

(فصل) ومما تضمنه حديث الشفاعة وقوع الشفاعة بعد عدة
أمر : منها شدة الكرب على عموم الخلق ، وتقديمهم طلبها من
غير نبينا ﷺ وانهاؤها اليه ﷺ ، ثم ذهابه إلى تحت العرش ،
وتقديمه ﷺ على الشفاعة السجود تحت العرش وقاؤه ساجداً
حتى يقال له : ارفع رأسك ، بعد أن يلوم الله محامداً لا يلومهم إياها
قبل ذلك ، ولم يكن يعلمها قبل ذلك ، ثم بعد هذه الأمور كلها يأذن
له ﷺ بالشفاعة

فاذا أردنا أن نعمل بالقياس على هذه الشفاعة ، فالقياس
الصحيح أن تكون الأمور المذكورة المتقدمة على الشفاعة ،

والمرتبطة بها ، التي لها مدخلية كبيرة في وقوع الاذن بسببها جائزة في البرزخ ، فان القياس على أمر موقوف حصوله على أسباب لا يصح إلا إذا وجدت تلك الأسباب في المقيس مع وجود العلة الجامعة بين المقيس والمقيس عليه ، والعلة هنا شدة الكرب في الموقف وإعطائه عليه السلام المقام المحمود المخصص به على رؤس الاشهاد ، وذلك مختص بيوم القيامة بدليل قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)

وهذه العلة مستحيل وجودها ، أو وجود مثلها أو ما يقاربها في هذه الدار ، وهذا وحده يكفي في إبطال هذا القياس ، فان جميع المجتهدين القائمين بالقياس قد شرطوا للقياس وجود العلة الجامعة وقالوا هي المصححة للقياس ، وههنا العلة المذكورة مقطوع بامتناع وجودها ، فلا يجوز هذا القياس بوجه من الوجوه .

بل ههنا مانع آخر من صحة القياس وهو تصريحه عليه السلام في الحديث بأنه حينئذ يلهم مقدمة الشفاعة ، وهي المحامد التي لم يكن يعلمها قبل ذلك ، فلو كانت الشفاعة ومقدماتها واقعة اليوم منه عليه السلام لزم أن يكون في كل وقت مستردداً إلى السجود تحت العرش لاجل الشفاعة لأمته في قضاء حوائجهم ، وفي كل مرة يلهم بتلك المحامد ، وهو قد أخبر أنه لم يلهم بها قبل ذلك ، فلزم منه أنه لم يذهب قبل يوم القيامة إلى السجود تحت العرش ولا مرة (فصل) وهلا يجوز أن تكون شفاعته قبل يوم القيامة من

دون تلك المقدمات ؟ قيل : ومن الذى يقدر أن يقول يجوز بغير علم منقول عنه بذلك صلى الله عليه وسلم . وكيف يمكن أن يصح عنه حرف واحد بذلك مع تضمنه الأمور المستحيلة التى يعلم بطلانها بالضرورة الدينية ، وباجتماع الأولين والآخرين من المجتهدين

(فصل) ودهنا موانع أخر من القياس المذكور وهو تضمنه تشريكه صلى الله عليه وسلم فى صفة ربه الصمدانية ، لأن الصمد معناه المقصود بالحوائج

قيل : فهلا يلزم ذلك فى الشفاعة الكبرى يوم القيامة ؟

قيل : كلا ، لوجوه :

الوجه الأول : أن هناك تشاهد الخلائق عظمة الله وانفراده بالملك والتصرف ، وأن الأمر كله لله ، كما يشاهدون ذل الخلائق وخضوعهم حتى الأنبياء برونهم جاثين على الركب كما قد ورد فى الحديث الصحيح ، وكل منهم لا يطلب إلا نجاة نفسه ، فميسى ابن مريم يسمعون به يقول : لا أسألك مريم التى ولدتنى ، ولا أسألك إلا نفسى نفسى . وهكذا غيره من الأنبياء إلا نبينا (ص) فإنه يقول « أمتى أمتى » ومع ذلك فيشاهدونه قد أظهر من العبودية لمربه بغاية التواضع والتذلل ، فيخر ساجداً قبل الشفاعة ، فيشهد بعض الخلق غاية تذله والله أعلم

ومع ذلك فلا يرفع رأسه إلا بعد صدور الإرادة السنية والأمر

العالي من جانب الرب المقدس الأكبر . ومع هذا الحال والمقام
 المشاهد لا يمكن لقلوب الخلائق أن تلتجئ بالشفيع ، ولأن تخضع
 وتنكسر أو تتذلل له ، بل الحال والأحوال ومشاهدة الحال ،
 يضطرها إلى الاتجاء والخضوع والانكسار والتذلل للخالق وحده
 لا يمكنها غير ذلك

(فصل) والوجه الثاني أن يوم القيامة يوم تنقطع فيه معظم
 التكليف ، فلو فرض التجاء بالشفيع وإشراك له في صفة الصمدانية
 فقد يقال لا يؤخذون به لانقطاع التكليف ، على أن ذلك لا يمكن
 أن يصدر من أحد الأهل إلا إن كان ممن كان يتخذ الشفعاء في الدنيا
 ويعتقد أنهم يشفعون في البرزخ بغير إذن . فإذا تعمدوا ذلك مع
 علمهم بعدم مشروعية يحرمون يوم القيامة من الشفاعة ، لأن الله
 تعالى قد أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا لمن ارتضى . وهؤلاء لا يرضى
 الله عنهم ، فلا يأذن لأحد بالشفاعة لهم

أما اليوم ونحن في دار الدنيا ، ولم نشاهد من عظمة الله التي
 يظهرها يوم القيامة ، ولا حصل لنا من الذل مثل ما يحصل يوم
 القيامة ، ولا وجد منا ذلك الخوف مثل ما يحصل يوم القيامة من
 الخوف العظيم . فبالضرورة إذا توسطنا بالأنبياء والصالحين تتوجه
 قلوبنا إليهم ، وينقطع توجهها عن الذي بيده الأمر كله ، ويحصل
 مع ذلك نوع من التوكل عليهم في قضاء الحوائج ، إذ كانوا هم

السبب في تحصيلها أو تعجيلها أو تيسيرها . ولهذا نرى عياناً من يعتقد ذلك يتقرب إلى الأنبياء بالبدع والمنكرات ، فينذر لهم النذور ويقبل أعتابهم ، ويطوف بضرأحهم ويوقد القناديل لهم ويخضع لهم خضوعاً زائداً على خضوعه بين يدي ربه

وهذا والله قد جرى لي بنفسى ، فمن شاء فليذكره فإني حيث شاهدته في نفسى قبل خمسة عشر سنة لا يمكننى إنكار ما قد شاهدته فأقول كنت في ذلك الحين أطوف على مقامات الصالحين ومراقدهم . فلما أحضر عندهم أطرق رأسمى وأتأدب غاية الأدب ، وأنكسر لهم وأتذلل أكثر من تذلى في الصلاة . بل مرة ذهبت إلى زيارة أحد القبور التى اتخذها كثير من الناس أضناماً ، فبقيت أترج في الانحناء إلى أن وصلت إلى حد الركوع ، وفي تلك الحال خطر لى أن هذا ركوع له ، فما أدري بأى شىء جاوبت نفسى ، وما كان هذا إلا بقصد التقرب اليهم . ليفربونى إلى الله زلفى . وكذلك غيرى ، وأنا مع ذلك لا أسميه عبادة ، وماذا يفيد عدم تسميتى عبادة لهذا الفعل الذى هو عين العبادة ؟ أوليس قد صدرت بالفعل منى عبادة غير أنى كنت جاهلاً بحقيقة العبادة ومع ذلك فإنى أعترف في ذلك الوقت بأن الشيخ المقبور عبده نملكك ليس هو بخالق السموات والأرض ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضراً ، وهل كانت عبادتى له بالركوع إلا مسببة عن اعتقاد أنه واسطة يقربنا أو ترفع دعائنا إلى الله فيحصل بذلك

مرعة الاجابة . وماذا يفيد أن تقول ان بيننا وبين المشركين فرق من جهة أن أولئك توسطوا بأخشاب وأحجار ونحن توسطنا بعباد صالحين مقربين . ومعلوم أن شرك أولئك ليس لاجل كون وسطاءهم أحجاراً وليس أنهم لو كانوا عباداً صالحين لم يكونوا مشركين . ومعلوم أن العلماء قد نقلوا أن بعض المشركين كانوا يتوسطون بالملائكة كما تقدم ومع ذلك فقد أنكر الله عليهم ذلك ، ولو كان شركهم لذلك لكان الرسول صلى الله عليه وسلم نقلهم إلى التوسط به أو بالملائكة والأنبياء ، فان ذلك أقرب إلى اجابتهم من طلبه منهم رفع الوسائط بالكلمة

فليتأمل هذا الباب وما ينتج منه من المفسد العظام ، المناقضة لدين الاسلام كما هو الحال المشاهد وما كان ذلك متسبباً إلا عن الدناء بالجاهات ، واعتقاد أن الأنبياء والصلحاء يعلمون الغيب ويسمعون نداءهم حيث كانوا ، وان الحوائج لا بد وأن تنقضى لهم ، فيلزم من ذلك أنهم اذا رفعوها بغير واسطة إلى ربهم لا يقضيها لهم ، وهذا فيه بالتأمل نقص وإساءة أدب حيث أنه تعالى وتقدس يحتاج إلى محرك يحركه في إيصال ضروريات عباده الذين هو ربهم ومصلحهم ومديرهم بغير واسطة

ولم يذكر أحد من الصحابة والتابعين في تفسير الرب أن معناه المدير أمور عباده المصلح لهم بواسطة أحد من المقربين ، ولا تقل

عليه اللغة العربية ، وغير جائز لأحد أن يقيده بذلك بل يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله يجيب دعوة عباده بغير واسطة ويصلح شؤونهم ويقضى حوائجهم بغير واسطة فانه تعالى قال (ادعوني أستجب لكم) ولم يقيّد ذلك بالواسطة . وقال (ولا تدعوا مع الله أحداً) والمتوسط قد ذكر أحداً مع الله في دعائه ، وإنكار هذا إنكار للمحسوس المشاهد ، فلا يمكن قبوله بوجه

(فصل) ومن الفرق أن الخلائق لما يسمعون آدم ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى اعترفوا بعجزهم عن الشفاعة وتقدم محمد ﷺ لئلا يقطعون بقولها اذ يرونه قد خر ساجدا فيعلمون أن شفاعته موقوفة على الأذن ، وبعد حصول الأذن يعلمون قطعاً أن هذه الشفاعة راجعة لله سبحانه ، ولذلك قال تعالى (قل لله الشفاعة جميعاً) والمدة بين استشفاعهم وحصول الأذن قليلة ، فإذا حصل لهم التجاء به قبل الأذن بظن أنه يشفع بغير إذن يزول ذلك سريعاً عقب حصول الأذن فيعلمون بالمشاهدة أن الله هو المتفضل بهذه الشفاعة ، إذ لو لا الأذن لم يقدر أن يشفع لهم محمد (ص) ولو شفع بغير إذن وحاشاه من ذلك لم تنفع شفاعته ، بل لا تشكك نفس في هذا اليوم إلا بأذنه

فأما الاستشفاع به (ص) اليوم فكل هذه الأمور مفقودة ، فان الالتجاء به (ص) والاعتماد عليه في المهمات يدوم في قلب الملتجئ

وكثير من الجهال لا يعتقد أن شفاعته اليوم موقوفة على الاذن ،
ولا علم له بحصول الاذن على تقدير امكانه كي يعلم أن الشفاعة كلها
لله حتى يرى ويعتقد أنه تعالى هو المتفضل بها والمنعم على عباده بها

(فصل) ومن الفروق المانعة من القياس أنه صلى الله عليه
وسلم قد أخبر في الحديث الصحيح أن لكل نبي دعوة مجابة قال
« واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي » وهذا مانع من أن يكون له (ص)
دعوات أخرى يستشفع بها في البرزخ بحيث تكون مجابة على القطع
وقد يقال لو كان له صلى الله عليه وسلم استشفاع في البرزخ لدل عليه
أمته ، لأن حاجتهم اليه أعظم من حاجتهم في يوم القيامة من حيث
ان الدنيا دار تكليف . فإذا دعا صلى الله عليه وسلم للعبد في أن
يحتم الله له بالإيمان أو أن يوفقه للعمل الصالح ، فهذا يكون أنفع له
من الدعاء له يوم القيامة . بل هذا هو اصل النجاة يوم القيامة

وإذا ضم إلى هذا كونه صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين رؤوف
رحيم ، وأنه في غاية الشفقة على أمته وشدة الحرص على ما ينفعهم
لم يمكن أن يكون له صلى الله عليه وسلم صلاحية الشفاعة في البرزخ
ولا يدل عليه أمته فان هذا منافي قوله (ص) « ما تركت شيئاً يقربكم
إلى الله إلا وقد أمرتكم به » وبالله التوفيق

(ت) قوله : لا يجوز الاعتماد على كل كتاب ولا الأخذ بكل
قول — مثل كتب المنطق وعلم الكلام والفلسفة ، وكتب

في محروفي
في الأربع

المتصوفة المتداولة في هذه الازمنة

قال شيخ الاسلام الهروي الشافعي في كتاب الدر النضيـد
(ص ١٨٢) مانصه : المشهور عند الشافعية أن المنطق والفلسفة
ليست من العلم المحترم حتى يجوز الاستنجاء بكتبتها . وجزم النووي
في شرح المذهب بأنه لا يجوز بيع كتب الكفر والتنجيم والشبهة
والفلسفة بل يجب إتلافها لتحريم الاشتغال بها . انتهى

قال محشيه السيد محمد بدر الدين : والذي ندين الله به أن علم
الكلام الذي دونوه وجعلوا المنطق بعض وسائله ليس من العلوم
الشرعية ، ولا مما يجب الاشتغال به ، وإنما هو حرام ، عاص
مؤلفه ومطالعه ، ومن يقول بخلافه ، ويكفي في بيان حرمة أن
جميع ما دخل على المسلمين من الزيغ والالحاد والتردد والتشكيك
في العقائد حتى في ذات الباري جل شأنه وصفاته فانما منشؤه هذا
العلم المشحون بالباطيل والخرافات . الى آخر كلامه في هذا الباب
(تص ١٩) قوله فمنها الحلف بغير الله الخ قال في الدر المختار
(ج ٣ ص ١٥) والقسم بالله تعالى وباسم من أسمائه او بصفة من
صفاته لا بغير الله تعالى كالنبي والقرآن والكعبة . انتهى
وقال أيضا (ص ٨٦) وقوله وحقا وحق الله وحرمة ، وبحرمة
شهادة الله وبحرمة لا اله الا الله ، وبحق الرسول وعذابه وثوابه ،
ورضاه ولعنة الله وأمانته : لا يكون قسماً . انتهى مختصراً

قال في الدر المختار (ج ٣ ص ٨٠) قال الرازي : أخاف على من قال بحياتي وحياتك وحياة رأسك أنه يكفر ، وإن اعتقد وجوب البر فيه يكفر . انتهى

قال ابن عابدين في التعليق عليه : إن في الحلف باسم غيره تعالى تسوية بين الخالق والمخلوق في ذلك . انتهى

يشير بقوله « في ذلك » إلى ما قدمه من أن اليمين ما كان موجبها البر أو الكفارة الساترة لهتك حرمة الاسم .

ثم قال أيضا في تلك الصحيفة : وفي القم ثمانى عن المنية ان الجاهل الذى يحلف بروح الامير وحياته ورأسه لم يتحقق اسلامه بعد . انتهى

قال في الدر المختار (ج ٥ ص ١٠٩) وكره قوله بحق رسلك وأوليائك ، أو بحق البيت . انتهى

قال الامام النووي في شرح مسلم (ج ١ ص ١٠٠) قال العلماء : الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله تعالى أن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به ، وحقيقة المعظمة مختصة بالله تعالى ، فلا يضاهى به غيره . انتهى

فما قول الخالفين بالشرف أو بتراب أمه أو أبيه أو بالنبي الفلانى أو الشيخ الفلانى الخ

(ت ص ٢٠) قوله : لظاهر قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا)

فانظر كيف جعل على الرازي — وهو من كبار علماء الحنفية —
 القسم او السؤال بحياتك ونحوه من اتخاذ الالناد المنهى عنه
 بنص القرآن ، وليس ذلك الا لما يتضمنه من التعظيم لحياة المخاطب
 قال البيضاوى فى تفسيره تحت قوله تعالى (ويعبدون من دون
 الله — الى قوله — فلا تضربوا لله الامثال) مانصة :

فلا تجعلوا له مثلاً تشركون به أو تقيـونه عليه ، فان ضرب المثل
 تشبيه حال بحال اهـ

قال شيخ زادة فى حاشيته عليه من مباحق الاول : فانه تعالى
 لما وصف المشركين بأنهم يعبدون ما لا يملك شيئاً من الرزق ،
 ولا استطاعة أصلاً فرغ على ذلك نهيهم عن أن يجعلوا له مثلاً
 يشركون به تعالى فى ألوهيته أو يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك
 المثل بأن يقولوا هو مثل له تعالى فى استحقاق التعظيم لما أن عبادة
 عبيد الملك أدخل فى تعظيمه من عبادة نفسه بالذات ، فالمثل على
 الاول ما يعبدونه من الشركاء ، وعلى الثانى ما يقيـونه مما يعظم
 شأنه عندهم . انتهى ، من الجلد الثانى (ص ٩١)

قال الشيخ تقي الدين المقرئ فى كتابه تجريد التوحيد (ص ١٨)
 ومن خصائص الالهية : العبودية التى لا تقوم إلا على ساق الحب
 والذل . فمن أعطاها لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص
 حقه ، وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر ، لكن لما غيرت الشياطين

فطراً أكثر الخلق واجتماعهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً كما روى ذلك عن الله أعرف الخلق به صلى الله عليه وسلم وبخلقه ، عموماً عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً

ومن خصائص الالهية السجود ، فمن سجد لغيره فقد شبهه به ومنها التوكل ، فمن توكل على غيره فقد شبهه به . ومنها التوبة ، فمن تاب لغيره فقد شبهه به . ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به . ومنها الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به . ومنها خلق الرأس . الى غير ذلك

هذان جانب التشبيه . وأما في جانب التشبه فمن تعاضم وتكبر ودعا الناس الى إطرائه ورجائه ومخافته ، فقد تشبه بالله ونازعه في ربوبيته ، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه . وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : يقول الله عز وجل العظمة إزارى والكبرياء ردائى ، فمن نازعنى فى واحد منهما عذبتة .

وإذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمتشبه بالله فى الربوبية والالوهية ؟ انتهى مختصراً

وقال أيضاً (ص ٢٠) وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ، ولذلك من ظن أنه إذا تقرب الى غيره بعبادة ما يقربه

ذلك الغير اليه تعالى فانه بخطيء لكونه شبهه به وأخذ ما لا ينبغي
أن يكون إلا له. فالشرك منه حقه ، فهذا قبيح عقلا وشرعا ولذلك
لم يغفر لفاعله .

واعلم أن الذي ظن أن الرب سبحانه وتعالى لا يسمع له ،
ولا يستجيب له إلا بواسطة تطلعه على ذلك ، أو تسأل ذلك منه ،
فقد ظن بالله ظن سوء ، فانه إن ظن انه لا يعلم أو لا يسمع إلا
بإعلام غيره له وإسماعه ، فذلك نفي لعلم الله وسمعه وكمال إدراكه ،
وكفى بذلك ذنبا . وإن ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من
يلينه ويعطفه عليهم ، فقد أساء الظن بأفضال ربه ويره واحسانه
وسعة جوده .

وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به ولهذا
يتوعد في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال الله تعالى
(الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم
ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) اه مختصرا
(ت) قوله : كعلم الغيب وشبهه

قال ابن عابدين في حاشيته على الدر المختار (ج ٣ ص ٤٥٨)
في الحديث « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر
بما أنزل على محمد » أخرجه أصحاب السنن الأربعة ، وصححه الحاكم
عن أبي هريرة رضي الله عنه

والكاهن من يتعاطي الخبر عن الكائنات في المستقبل ويدعى معرفة الأسرار، والعراف المنجم، وقال الخطابي: هو الذي يتعاطي معرفة مكان المسروق والضالة ونحوهما، والذي يدعى أن له صاحباً من الجن يخبره عما سيكون، والكل مذموم شرعاً، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر، وفي البرازية: يكفر بادعاء علم الغيب وباتيان الكاهن وتصديقه. وفي التاتارخانية: يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات أو أنا أخبر عن إخبار الجن أي
فعلى هذا أرباب التقاويم من أنواع الكاهن لادعائهم العلم بالحوادث الكائنة

وحاصله أن دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها. اهـ
فهذا حكم علماء الحنفية بكفر من ينادي أهل القبور من مكان بعيد عن قبورهم أو يندبهم أو يدخل عليهم أو يستجير بهم أو نحو ذلك من أفعالهم الشركية، فإن هذه الأفعال تتضمن اعتقاد فاعليها أن الأموات المدفونين في بلاد بعيدة يعلمون بحال من يناديهم من أقطار الأرض، ويسمعون أصوات الداعين والمستغيثين بهم، وهذا السماع وذلك العلم خارج عن مقدور الأحياء والأموات، وكفر معتقده لا يختلف فيه عالمان من المسلمين ولا كتابان من كتبهم
(تص ٢) قوله: شرك تقريب - إلى قوله - من أصول الضلال
التقليد الردي

قال الغزالي في المستصفى (ج ٢ ص ٣٨٧) التقليد هو قبول قول

بلا حجة ، وليس ذلك طريقا الى العلم لا في الاصول ولا في الفروع اه
وقد صرح المازني بأن شيخه الشافعي قد نهاه عن تقليده
وتقليد غيره ، وكذلك بقية المجتهدين نهوا عن التقليد لانه بدعة في
الدين . قال المازني تلميذ الامام الشافعي في أول صفحة في مختصر
الأم المطبوع بهامش كتاب الأم للامام الشافعي مانصه : اختصرت
هذا الكتاب من علم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله ، ومن معنى
قوله لأقربه على من أراده مع إعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره
ليمنظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه ، وبالله التوفيق . اه

ولا شك أن المقلد غيره أو نفسه وهو اه في دين باطل والمتخذ
واسطة في غير تبليغ الأحكام تقربه تلك الوسطة الى الله على زعمه
قد اتخذ ذلك الغير وتلك الوسطة طاءوتا ، فيجب عليه إن كان
يرجو الله والدار الآخرة اجتناب ذلك الطائوت ، مع الكفر به
وبتقريبه وتقليده وعبادته عملا بقوله تعالى (فمن يكفر بالطائوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

قال ابن عابدين في الثالث من حاشية الدر المختار (ص ٤٤٤)
ثم اعلم أن من كان كفره بانكار أمر ضروري كحرمة
الحرم مثلا لا بد من تبرئه مما كان يعتقد ، لانه كان يقر بالشهادتين
مع فلا بد من تبرئه معه كما صرح به الشافعية وهو ظاهر اه

وقال تعالى (والذين اجتنبوا الطائوت أن يعبدوها) الآية
قال الرازي (ج ٧ ص ٢٤٤) اعلم أن الله تعالى لما ذكر وعيد عبدة

الأصنام والأوثان ذكر وعد من اجتنب عبادتها واحترز من
الشرك ثم قال : اختلفوا في أن المراد من الطائغوت ههنا الشيطان
أم الأوثان ، فقليل أنه الشيطان

٢ أله مركب
غير الله الرزق

فان قيل : أنهم ما عبدوا الشيطان ، وإنما عبدوا الصنم ،
قلنا : الداعي الى عبادة الصنم لما كان هو الشيطان كان الاقدام
على عبادة الصنم عبادة للشيطان . وقيل المراد بالطائغوت الصنم
والطغاة هم الذين يعبدونها ، الا أنه لما حصل الطغيان عنده
مشاهدتها ، والقرب منها وصفت بهذه الصفة . وقيل كل ما يعبد
ويطاع من دون الله فهو طائغوت

٣ الرصبة
٤ العبادة
٥ غير الله

قلت : وهذا هو الحق الذي تؤيده الافة على ما سيأتى نقله
عن القاموس .

٦ العبادة
٧ غير الله

ثم قال الرازي : وأقول حاصل الكلام : والذين اجتنبوا
الطائغوت أى أعرضوا عن عبودية كل ما سوى الله
قوله تعالى (وأنابوا الى الله) أى رجعوا بالكلية الى الله .

٨ العبادة
٩ غير الله
١٠ الرزق
١١ غير الله
١٢ العبادة

ورأيت في السفر الخامس من التوراه أن الله تعالى قال لموسى
ﷺ أحب إليّ كل قلبك . ثم قال : وأقول مادام يبقى في القلب
التفات الى غير الله فهو ما أحب إليه بكل قلبه ، وإنما تحصل
الاجابة بكل القلب إذا أعرض القلب عن كل ما سوى الله من باب
الطاعات فكيف يعرض عنها مع أنه بالحق يشاهد الأسباب
المفضية الى المصائب في هذا العالم ؟

قلنا : ليس المراد من إعراض القلب عنها أن يقضى عليها بالعدم ، فإن ذلك دخول في السفسطة وهو باطل . اهـ

قال في القاموس (ج ٤ ص ٣٥٧) والطاغوت : اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والاصنام وكل ماعبد من دون الله ومردة أهل الكتاب . قال الراغب في المفردات (ص ٣٠٧) والطاغوت عبارة عن كل متمرد وكل معبود من دون الله قال (فمن يكفر بالطاغوت - والذين اجتنبوا الطاغوت - أولياؤهم الطاغوت) اهـ . قال في روح البيان (ج ١ ص ٢٧٦) الطاغوت هو كل ماعبد من دون الله اهـ قال في الصحاح . (ج ٢ ص ٥١٠) والطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال قال (يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت - أولياؤهم الطاغوت) اهـ باختصار

قال الرازي في تفسيره (ج ٧ ص ٤٣٩) ثم قال تعالى (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) والمقصود أنه تعالى لما بين أنه لا دليل لهم على صحة ذلك القول البتة (أي القول بعبادة الوسائط) بين أنه ليس لهم حامل يحملهم عليه الا التقليد المحض ثم بين أن تمسك الجمال بطريقة التقليد أمر كان حاصلا من قديم الدهر فقال (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وفي الآية مسائل . فذكر الأولى ثم قال :

(المسئلة الثانية) لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآيات لكفت في إبطال القول بالتقليد ، وذلك لأنه تعالى بين أن هؤلاء الكفار لم يتمسكوا في إثبات ما ذهبوا اليه لا بطريق عقلى ولا بدليل نقلى . ثم بين أنهم إنما ذهبوا اليه بمجرد تقليد الآباء والأسلاف ، وإنما ذكر تعالى هذه المعاني في معرض الذم والتهجين ، وذلك يدل على أن القول بالتقليد باطل .

ومما يدل عليه أيضا من حيث العقل أن التقليد أمر مشترك فيه بين المبطل وبين الحق ، فلو كان التقليد طريقا الى الحق لوجب كون الشيء ونقيضه حقا ، ومعلوم أن ذلك باطل

(المسئلة الثالثة) أنه تعالى بين أن الداعي الى القول بالتقليد والحامل عليه إنما هو حب التنعم في طيبات الدنيا ، وحب الكسل والبطالة وبغض تحمل مشاق النظر والاستدلال لقوله تعالى (إلا قال متروها إنا وجدنا آباءنا على أمة) والمتروفون هم الذين أترقهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي ، ويبغضون تحمل المشاق في طلب الحق .

وإذا عرفت هذا علمت أن رأس جميع الآفات حب الدنيا ، واللذات الجسمانية ، ورأس جميع الخيبرات هو حب الله والدار الآخرة ، فلهذا قال عليه السلام «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ثم قال تعالى لرسوله (قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه

آبؤكم) أي بدين أهدى من دين آبائكم ، فعند هذا حكى الله عنهم أنهم قالوا إنا نأبئون على دين آبائنا ، لا نفعلك عنه وإن جئتنا بما هو أهدى ، فإننا بما أرسلنا به كافرون وإن كان أهدى مما كنا عليه . فعند هذا لم يبق له عذر ولا علة ، فلم هذا قال تعالى (فانقمنا منهم) فأنظر كيف كان عاقبة المكذبين) هذا كله كلام الرازي في تفسيره للآيات المذكورة

قال البيضاوي (ج ٢ ص ٦٨) في تفسيره عند قوله تعالى (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) أي لا حجة لهم على ذلك (أي على اتخاذ الوسائط والأنداد من دون الله ولا على اتخاذ الرؤساء أربابا من دون الله) ثم قال : وإنما جئناهم فيه إلى تقليد آباءهم الجهلة . ثم قال نحت قوله تعالى (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) مانضه : تسليمة لرسول الله ﷺ ودلالة على أن التقليد في نحو ذلك ضلال قديم ، وأن مقدميهم أيضا لم يكن لهم سند منظور إليه ، وتخصيص المترفين إشعار بأن التنعيم وحب البطالة صرفهم عن النظر إلى التقليد . اهـ

(ت ص ٢٥) قوله : من أصول الضلال الجهل المركب

قال في بدء الأمل (ص ٢٩)

وما عذر لدى عقل يجهل بخلاف الأسافل والأغالي

قال شارحه الشيخ على القارى : المعنى أنه لا عذر لصاحب عقل أن يجمل صانعه الذى خلق السموات والأرض الدالة على صانعها ومنشئها كما قال الله تعالى (وكأين من آية فى السموات والأرض يدرون عليها وهم عنها معرضون) وقال (أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض) وفى فطرة الخلق إثبات وجود البارى كما قال ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة» ويدل عليه قضية الميثاق أيضا الوارد فى قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم) الآية ولهذا لم يبعث الأنبياء الا للتوحيد لا لإثبات وجود الصانع كما يشعر قوله تعالى (قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض) فالكفار لم يكونوا شاكين فى وجود الصانع ، وإنما كفروا بتعدد الآلهة متمالين بأن هؤلاء شفعائنا عند الله ، وأنهم ليقرّبونا الى الله زلفى . وروى الحاكم الشهيد فى المنتقى عن أبى حنيفة انه قال : لا عذر لأحد فى الجهل بخالقه ، وفى ظاهر الرواية انه لو لم يعرف ربه ومات يخلد فى النار اهـ (ص ٣٠)

وقال الشعرانى (ج ١ ص ٧٤) من المثل أن العبد مادام متكلا على الخلق لا يستحق أن يبدأه الحق بفضل ولا نعمة الا استدراجا ، وما دام العبد واقفا مع الخلق راجيا لعطائهم وفضلهم سائلا لهم مترددا الى أبوابهم ، معرضا عن التوكل على الله تعالى فهو مشرك بالله اهـ وبذلك تم الكتاب والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله المعبود بحق ولا معبود بحق في الوجود سواه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بأمره ليطاع ، فمن أطاعه فقد اهتدى ومن خالفه فلاحظ له في الاسلام إذا كان بمخالفته متعمداً ، وعن شريعته بقصده حائداً

أما بعد فقد درست هذه الرسالة لمؤلفها العالم المسلم الأستاذ الشيخ عبد الله بن محمد الحو الموصلي فوجدته قد تذرع أوامر الشريعة امتثالاً ، ونواهيها إيضاحاً ، مستدلاً بما يغني ويقتني من آمن بالله واهتدى ، ووفقه لاسلامه من الوقوع في أشراك من ضل واعتدى ، كشف عن حقائق النصوص الشرعية نقاباً ، وأبان من أسرارها ما كان بظنه الكثير من الضالين من الماء يقدر سراياً ، فجزاه الله عن دين محمد خير الجزاء ، وأثاله من المغفرة ما يغفل عنه أدران ما كسبت نفسه من خطأ متعمد بتوبة مقبولة نصوح ، وما كان من خطأ غير مقصود بحسنة مضاغفة ، وليس ذلك على كرم الله بعزير وإن نصيحتي لمن يطلع على هذا المؤلف أن لا يتردد بقبول ما يحتويه ، ولا يدب الشك الى قلبه فيرفض شيئاً مما جاء فيه ، فهو من الحق لباب ، اذ فند وساوس الباطل ، ومزاعم كل مأفون جامل ، يبراهين أدلى بها من كتب يعتبرها مسلمو هذا العصر

ويراها جمهورهم أصل الشرع وغاية الأمر ، فلا معنى والحالة هذه
لتردد شافعي أو حنفي أو مالكي أو حنبلـي بشيء مما اقتضته
نصوص من عليهم يعولون ، وإلى أقوالهم بما يشكل من أمر الشرع
إليها يرجعون ، أما من لا يرضى إلا بصحيح الدليل ولا يعبأ بقول
أحد أو قيل ، فإن أمره واضح وسبيله واضحة لا يحتاج إلى اقناع
أو تدليل ، فحسبه أن ثبت في ذلك الكتاب وما أوضح به أصح
دليل عن المعصوم من كتاب الله المنزل عليه ومن سنته التي أمره
بها الله ، فهاهو التوحيد قد وضع وكان قبلاً متضحاً ولكن زاده
ذلك التأليف صراحة وبيانا لأرباب التقليد ، فما عساه أن يبديء
المتنكب عن القبول من حجة أو يعيد

وفي الختام أبتهل إلى الله عز وجل أن يهدي أمتنا إلى دين
الحق الذي لا يرضى الله لها ديناً غيره وأن يخلصها من تلك الردة
التي كاد أن يقع بها جمهور الأمة المحمدية إلا من رحم الله
وصلّى الله وسلم على محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم
سليم كثيراً .

أولاه محمد بن عبد الرحمن السند المقيم في الزبير

فهرس رسالة البراهين المهدية

- ٦ ترجمة المؤلف
- ٥ معنى كلمة التوحيد وما تدل عليه
- ٧ بيان ما ينافي لا إله إلا الله
- ٨ بيان أصناف الانداد
- ١٢ قطع عمر الشجرة التي بويح تحتها النبي ﷺ حماية للتوحيد
- ١٥ الفتنة بتعظيم القبور ومن فيها
- ١٧ تحريم اتخاذ التماثيل والتساوير
- ٢٤ أصول الضلال ثمانية

فهرس شرح رسالة البراهين

- ٢٦ وجوب معرفة أن صانع العالم واحد
- ٢٨ بيان معنى (أشهد) والرد على المخطئين
- ٣٤ استواء الله على عرشه
- ٣٥ لا إله إلا الله : حقها
- ٤٠ بيان معنى العبادة والمحبة
- ٤٣ التصرف في الكون لله وحده وبطلان تصرف الاقطاب
- ٤٥ الغلو في النبي ﷺ ووصفه بصفات الربوبية
- ٥٢ معنى تحريم من قال : لا إله إلا الله - على النار
- ٥٩ مآقال علماء اللغة والتفسير في معنى الند

٦٥	دعوى علم الغيب للمخلوق باطله
٧٢	بيان معنى الايمان
٧٨	حديث لا تجعلوا قبري عيداً
٨٢	بيان معنى الجمع والفناء والبقاء عند الصوفية
٨٩	بيان معنى (ولا قبراً مشرفاً إلا سويته)
٩٢	تحريم النذر للمخلوق وأن النذر الصحيح لا يفيد
٩٧	ليس هناك دليل على أن فلاناً بعينه في القبر المنسوب إليه
١٠٢	التمسح بالقبور وتقبيلا
١٠٩	ايمان المشركين بوجود الله لم ينفعهم
١١٤	دعاء غير الله شرك . والآيات فيه
١٢١	اتخاذ الوسائط هو دين المشركين
١٢٧	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله
١٣٢	ذم التقليد والادلة عليه
١٣٦	فصول مهمة في الشفاعة وبيانها وبيان وقتها
١٥٢	ما يتضمنه التوسل من إساءة الظن بالله تعالى
١٦٠	تقريظ الكتاب